

الباب الأول

اتصال اليهود بالأديان الوثنية

ويشتمل على فصلين(*):

الفصل الأول: الأديان الوثنية المعاصرة لليهود في تاريخهم القديم.

الفصل الثاني: قنوات الاتصال التاريخية بين اليهود وأصحاب الأديان الوثنية.

(*) اشتمل الباب الأول في أصل الرسالة على ثلاثة فصول بدلاً من فصلين حيث كان هناك فصل كامل ومطول عن "تاريخ اليهود القديم" بدءاً بعصر الآباء الأولين ومروّراً بعصر موسى ويشوع وعصر القضاة وعصر المملكة الموحدة وعصر الانقسام وانتهاءً بعصر المكابيين. وقد رأيت حذف هذا الفصل رغم أهميته عند نشر الكتاب نظراً لطوله ورغبة في التخفيف عن القارئ على أمل أن يصدر في كتاب خاص بعد زيادة وتنقيح. إن شاء الله.

الفصل الأول

الأويان الوثنية القرينة المعاصرة

اليهود في تاريخهم القديم

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: في الحديث عن الشرق الأدنى القديم وهجرات الساميين.

المبحث الأول: أديان بلاد الرافدين.

أ - دين السومريين.

ب - دين الأكديين.

ج - دين البابليين.

د - دين الآشوريين.

المبحث الثاني: أديان بلاد سورية.

أ - دين الأموريين.

ب - دين الكنعانيين.

ج - دين الآراميين.

المبحث الثالث: ديانة مصر القديمة.

المبحث الرابع: ديانات الفرس واليونان والرومان.

الأديان الوثنية المعاصرة لليهود في تاريخهم القديم

تمهيد:

ينبغي علينا - قبل الحديث عن الأديان الوثنية التي عاصرت اليهود منذ نشأتهم وعلى امتداد تاريخهم القديم - أن نشير إلى المنطقة التي كانت مسرحاً لتلك الأديان وشهدت انبعاث وتدفق الموجات المتتابة من هجرات الساميين وغيرهم من الشعوب الذين أسسوا هذه الأديان.

الشرق الأدنى القديم:

يذكر موسكاتي أن بلاد العرب، وسوريا وفلسطين، وأرض الرافدين، تؤلف معاً وحدة جغرافية كانت في زمانها مسرحاً لحدث هام في رواية الإنسانية^(١).

ويضيف ول ديوارانت إلى هذه المناطق: مصر وجميع بلاد آسيا الجنوبية الغربية الممتدة جنوب روسيا والبحر الأسود وغرب الهند وأفغانستان، ويطلق عليها جميعاً: بلاد الشرق الأدنى القديم^(٢).

وعلى ذلك فإن الشرق الأدنى القديم يشتمل على مصر وبلاد العرب، وبلاد الشام وأرض الرافدين وبلاد فارس (إيران القديمة)^(٣).

(١) راجع الحضارات السامية القديمة ص ٣٤ ترجمه وزاد عليه د/ السيد يعقوب نشر دار الرقي بيروت طبعة ١٩٨٦ م.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول (الشرق الأدنى) ص ٩ ترجمه محمد بدران: لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ١٩٧٢ م.

(٣) راجع د/ أحمد فخري: دراسات تاريخ الشرق القديم ص ١٧ الطبعة الرابعة ١٩٨٤ مكتبة الأنجلو المصرية، وقارن د/ فيليب حتى موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٧ ترجمه د/ أنيس فريجة دار الثقافة بيروت.

وتعبير الشرق الأدنى القديم تعبير اصطلاحى تأثر إلى حد ما بالتعبير الأوروبي The Ancient Near East وقد امتدت معالم الحضارة القديمة فيه امتداداً عميقاً واسعاً، على الرغم من غلبة الطابع الصحراوي على معظم أراضيه^(١) الأمر الذي جعله يحتل مرتبة فريدة من حيث تاريخه المدون، ومن حيث عميم فضله وعطائه نحو تقدم الإنسان ورقيه، ويرجع ذلك إلى ما تميز به هذا الإقليم من عوامل طبيعية واستراتيجية^(٢).

بالإضافة إلى أنه - أي إقليم الشرق الأدنى القديم - قد تخلله منحى ثابت من التفكير حدد موقفه من الوجود: هذا المنحى هو غلبة الدين على بقية عوامل الحياة جميعاً، مما طبعها بالطابع الدينى فاتخذت من الدين مصدراً مشتركاً للإلهام^(٣).

هجرات الساميين:

شهد الشرق الأدنى القديم منذ آلاف السنين اندفاع موجات متعاقبة من هجرات الساميين حيث انتقلت من مناطق الجذب فيه إلى حيث الخصب والنماء.

(١) د: عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم الجزء الأول (مصر والعراق) ص ٥ مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م.

(٢) من هذه العوامل:

أ - وقوعه في مركز متوسط بين العالم القديم مما سهل اتصاله بغيره من الأقاليم فأمكن انتقال المؤثرات الحضارية منه وإليه بسهولة.

ب - وجود أنهار عظيمة ومجاري مائية دائمة في مختلف أقطاره مما أدى إلى استقرار الجماعات البشرية التي سكنت قريباً منها وأتاح لها فرصة النهوض والترقي.

ج - سهولة اتصال أجزاء هذا الإقليم فيما بينها لعدم وجود فواصل طبيعية مانعة تحول دون ذلك حيث أتاحت لها فرصة الاحتكاك بعضها ببعض فانتشرت مظاهر حضارية مختلفة.

(راجع في ذلك د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ١١٢٧، الشرق واليونان القديمة ص ٣٥، ٣٧ وهو المجلد الأول من تاريخ الحضارات العام تأليف أندريه إيبهار، جانين أوبواية ترجمة فريد م. داعر، فؤاد ج. أبو ريحان منشورات عويدات: بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤، د/ إيفار ليسنر: الماضي الحي ص ١٩ ترجمة شاكرا إبراهيم سعيد: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ م. د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٤٥-٤٦: النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م.

(٣) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص ٢٢٦.

الساميون: نسبة إلى سام بن نوح الذي ورد ذكره في صحيفة الأنساب الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين^(١).

"وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافت^(٢)، وبعد أن عدد الإصحاح أبناء يافت^(٣) ذكر أن بني حام هم: كوش ومصرام وفوط وكنعان^(٤) وبني سام هم عيلام وأشور وارفكشاد ولود وأرام^(٥)، ثم ذكر أبناء هؤلاء جيمعاً^(٦) وقال في نهاية الإصحاح "هؤلاء قبائل بني نوح حسب مواليدهم بأسمهم، ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان^(٧)."

ففي هذه الصحيفة أو هذا الجدول من الأنساب نجد قائمة أبناء سام تضم أرام وأشور وعبر أي الآراميين والآشوريين والعبريين، ولهذا استعمل العلماء الأوربيون قرب نهاية القرن الثامن عشر لفظ الساميين اسماً مشتركاً لتلك المجموعة من الشعوب^(٨) وذلك اعتماداً على القرابة اللغوية

(١) وهو إصحاح يسجل الصلات بين الشعوب المختلفة التي كان يعرفها كاتبه وسجلها في صورة سلاسل أنساب تنحدر من أبناء نوح.

(٢) تكوين ١٠: ١.

(٣) ١٠: ٢-٥. (٤) ١٠: ٦.

(٤) ١٠: ٢١.

(٥) تكوين ١٠: ٣٢.

(٦) راجع الإصحاح كله ومعه الإصحاح الحادي عشر من نفس السفر: ١١-٢٦.

(٧) ١٠: ٣٢.

(٨) استعمل لفظ السامي "مطبوعاً لأول مرة عام ١٧٨١ على يد المستشرق الألماني سلوتسر في مقاله عن الكلدانيين الذي أورده إيشهورن في فهارس الأدب الشرقي والتوراتي المجلد الثامن ص ١٦١ إذ قال: "من البحر المتوسط إلى الفرات ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوباً، سادت كما هو معروف، لغة واحدة، لهذا كان السوريون والبابليون والعبريون والعرب شعباً واحداً، وكان الفينيقيون (الحاميون) أيضاً يتكلمون هذه اللغة التي أود أن أسميها (اللغة السامية)، وقد تولى إيشهورن بعد ذلك نشر هذا الاصطلاح والدفاع عنه وإن ادعاه لنفسه، ومنذ ذلك الحين أصبح عند العلماء والباحثين في موضوع لغات الشرق الأدنى علماً للمجموعة المذكورة من الشعوب.

(راجع د/ السيد يعقوب بكر هوامش الحضارات السامية القديمة ص ٢٣٩.

بينهم^(١).

ولكن هناك من يرى أن هذه التسمية الشائعة غير موفقة ولا صحيحة^(٢) ولا تؤيدها الأبحاث العلمية الحديثة^(٣) حيث إنها تسمية لغوية فقط^(٤)، ولأن القرابة الواردة في التوراة، وذلك التقسيم المذكور فيها للبشر، لا يستندان إلى أسس علمية أو عنصرية صحيحة بل بنيت القرابة ووضع ذلك التقسيم على اعتبارات سياسية وعاطفية، وعلى الآراء التي كانت شائعة عند شعوب العالم في ذلك الزمان عن النسب والأنساب وتوزع البشر^(٥).

وبالرغم من ذلك فإن تعبير الشعوب السامية أو (الساميون) مقبول على أساس شيوعه للدلالة على شعوب ربطت بين أهلها روابط التشبه في الملامح العامة وروابط التشبيه في تأثيرات البيئة والمناخ، وروابط اللغات، ثم روابط العقائد والتقاليد والتخيلات، نتيجة التشابه في الأسس التي قامت عليها والظروف التي أوحت بها، وينطلق ذلك بأطرافه على شعوب الشرق، بدوله العربية في شبه الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر والدول العربية الإفريقية^(٦).

= جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام الجزء الأول ص ٢٢٣.

د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٦٥.

الشيخ نسيب وهيب الخازن: من الساميين إلى العرب ص ٩، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ.

(١) لمعرفة خصائص اللغات السامية وتقسيمها راجع موسكاتي في كتابه السابق ص ٤٨٤-٤٨٥ هوامش المترجم ص ٢٣٩-٢٤٦، أو لبرايت: آثار فلسطين ص ١٧٢-١٧٤ ترجمة د/ زكي اسكندر، د/ محمد عبدالقادر محمد إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١ م.

(٢) د/ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول ص ٦٥ نشر دار البيان بغداد طبعة ١٩٧٣ م.

(٣) د/ فيليب حتى: تاريخ العرب الجزء الأول ص ٩ طبعة ١٩٤٩ دار الكشاف للنشر والتوزيع.

(٤) نفس المؤلف: تاريخ سورية ج ١ ص ٦٦-٦٧.

(٥) د/ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ٢٢٣، ٢٢٤، راجع أيضا إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص ٢-٣.

(٦) د/ محمد بيومي: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن ص ٥٠٥.

وكما يقول سبتينو موسكاتي "إن الشعوب السامية تؤلف في لغتها كتلة واحدة، لا باجتماعها في صعيد جغرافي واحد والتحدث بلهجات لغة واحدة فحسب، ولكن باشتراكها في أصل حضاري تاريخي واحد أيضًا، ومن هنا يجوز لنا ألا نقصر الصفة السامية على الميدان اللغوي وأن نتحدث أيضًا عن الساميين وعن الشعوب والحضارة السامية^(١) .

وقد اختلفت أقوال العلماء وتشعبت آراؤهم في تحديد المواطن الأصلي للشعوب السامية.

فهناك من يذهب إلى أنه أفريقيًا^(٢) بينما يرى فريق آخر أنه أرمينية^(٣) على أن هناك فريقًا ثالثًا قد تبني ما ترويه التوراة من أن مهد الساميين كان في أرض بابل (بلاد ما بين النهرين)^(٤) .

لكن جمهور العلماء يذهبون إلى أن بلاد العرب (شبه الجزيرة العربية) كانت المواطن الأصلي للشعوب السامية^(٥) .

(١) راجع الحضارات السامية القديمة ص ٤٨-٥٠، ٢٢٤-٢٢٥، ومع ذلك فهناك من يرى أن السامية ليست جنسًا بالمعنى المفهوم من الجنس عند علماء الأجناس، أي أنها ليست جنسًا له خصائص جنسية وملامح خاصة تميزه عن الأجناس البشرية الأخرى راجع موسوعة تاريخ العالم الجزء الأول ص ٥٢.

راجع قول العالم الفرنسي هيري فليسن في كتاب د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٦.
(٢) يسمى هؤلاء أصحاب المذهب الأفريقي، ولمعرفة أدلة هذا المذهب والرد عليها راجع حامد عبد القادر: الأمم السامية دار نهضة مصر القاهرة ١٩٨١.

(٣) أصحاب المذهب الأرمني وفي مقدمتهم أرنست رينان (راجع مذهبهم والرد عليهم في المصدر السابق ص ٥٤-٥٥ ود/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) ويزعم إسرائيل ولفنسون أن البحوث التاريخية أثبتت أن أرض بابل هي المهد الأصلي للحضارة السامية، وأيد العالم جويدي هذا الرأي ولكن نولده عارضه معارضة شديدة وانتهى فليب حتى إلى فساد هذا الزعم تاريخ العرب ج ١ ص ١٠، جرجي زيدان: تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٤١-٤٢ طبعة دار الهلال (راجع تاريخ اللغات السامية ص ٤-٥) د/ فليب حتى: بدون تاريخ، د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٩-١١، د/ يعقوب بكر هوامش موسكاتي ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٥) راجع موسكاتي: الحضارات السامية ص ٥٢-٥٣، ول ديوارنت: قصة الحضارة مجلد ١ ص ٢ ص ٣٠٩، بريستيد: العصور القديمة ص ١١-١١٥، د/ فليب حتى: تاريخ العرب ج ١ ص ١٠ وقد أورد جميع هؤلاء العلماء في الصفحات التالية ص ١١-١٤.

وتدفقت هجرات الساميين من قلب هذه الجزيرة العربية "ذلك الخزان البشري الشهير الذي لم يتوقف عن أن يقذف - كإقليم طرد وكصحراء فقيرة ولكنها "ولود" - يقذف بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهلال الخصيب^(١) المتاخمة والجذابة^(٢).

ويبدو أن تدفق هذه الموجات قد حدث منذ أقدم الأزمنة ولذلك فإنه لا يعرف على وجه التأكيد بداية ذلك التدفق^(٣).

وإن كان موسكاتي يرى أن أقدم الهجرات للشعوب السامية التي سجلها لنا التاريخ تمت منذ الألف الثالث ق.م، وكانت في اتجاه وادي الرافدين، واستمرت بعد ذلك من حين إلى حين، وأدت إلى تكوين دول سامية قوية واسعة النطاق^(٤).

(١) يطلق مصطلح "الهلال الخصيب" على منطقة غربي آسيا وبالتحديد على الجزء المحصور بين الجبال في الشمال والصحراء في الجنوب، وذلك لأنه يكون شكلاً نصف دائري على وجه التقريب، ويرتكز طرفه الغربي في جنوب شرقي البحر المتوسط، ووسطه فوق شبه جزيرة العرب، ويرتكز طرفه الآخر عند الخليج الفارسي، وخلف ظهر هذا الهلال تقوم الجبال المرتفعة، وعلى ذلك تكون فلسطين عند نهاية الجزء الغربي منه وبلاد بابل في الجزء الشرقي بينما تكون بلاد آشور جزءاً كبيراً من وسطه. وأول من استعمل هذا المصطلح المؤرخ الأمريكي جيمس هنري برستيد، ثم شاع استعماله بين العلماء بعد ذلك (بريستيد: انتصار الحضارة ص ١٤٣ ترجمة د/ أحمد فخري مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى ١٩٥٥م، العصور القديمة ترجمة داود قربان مؤسسة عز الدين بيروت ١٩٨٣م، ويذكر الدكتور أحمد سوسة أن الهلال الخصيب يشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن والعراق وبعضهم يدخل الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن الهلال الخصيب (تاريخ حضارة وادي الرافدين ج ١ ص ١١٧ بغداد ١٩٨١م).

(٢) راجع قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٢٠٩ بريستيد: انتصار الحضارة ص ١٤٧-٢٤٨، د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ٨ دار الكاتب القاهرة ١٩٦٧م.

(٣) يرتفع بعض المؤرخين بأول فوج من هذه الموجات إلى القرن الثلاثين ق.م (عباس العقاد - إبراهيم أبو الأنبياء منشورات المكتبة العصرية بيروت - صيدا ١٩٨١ ص ١٢٠، ويذكر الدكتور نجيب ميخائيل أنها بدأت منذ حوالي خمسة وعشرين ألف عام: مصر والشرق الأدنى القديم: الجزء الثالث: الشرق الأدنى القديم سورية ص ١٢٦ ط ٢/ ١٩٦٤ ويذهب بعض العلماء إلى أن الفترة بين الموجة والتي تليها كانت تبلغ زهاء ألف عام (ونيكلر نقلاً عن د/ مهرا ن ج - إسرائيل ص ٥١٠، حامد عبدالقادر: الأمم السامية ص ٦٦).

(٤) الحضارات السامية ص ٦١، ويذهب الدكتور فاظا إلى أن الهجرات المذكورة تاريخياً حدثت خلال الألف الرابع ق.م (الساميون ولغاتهم ص ٣٩).

وكذلك كانت بلاد سورية محطاً لهذه الهجرات، وكانت بوتقة انصهرت فيها الحضارة والبداءة، ولكن حصتها من موجات الساميين كانت أكثر من غيرها، حيث تعرضت لخمس هجرات منها على الأقل حتى غدت مهداً للهجرات السامية الفرعية إلى نواحي الشرق الأدنى القديم^(١).

هذا وقد اختلطت في منطقة الشرق الأدنى - نتيجة هذه الهجرات - شعوب سامية عديدة، واتصلت هذه الشعوب بغيرهم من غير الساميين، فتكونت بذلك ديانات كثيرة ومتنوعة، ظلت هذه الديانات قائمة، وبقي تأثيرها مستمرًا حتى عاصرها اليهود منذ نشأتهم وعلى امتداد تاريخهم القديم.

ونظرًا لكثرة تلك الديانات، فإنني آثرت أن أضعها تحت هذا التقسيم في أربعة مباحث:

- ١- ديانات بلاد الرافدين.
- ٢- ديانات بلاد سورية.
- ٣- ديانات مصر القديمة.
- ٤- ديانات الفرس واليونان والرومان.

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى الجزء الثالث: سورية ص٧ ولكن ليست لدينا معلومات أكيدة عن أول توغل للشعوب السامية في سورية (موسكاتي: الحضارات السامية ص١٢٢، وإن كان بريستد يرجح أنها قد بدأت في عام ٣٠٠٠ ق.م) (انتصار الحضارة ص١٤٧).

المبحث الأول: ديانات بلاد الرافدين

ظفرت بلاد الرافدين^(١) بعناية من المؤرخين الدينيين، وعلماء المقارنة بين الأديان، لم يظفر بها قطر آخر، ذلك لأنها ميدان للبحث لا يضارعه ميدان آخر في اتساعه، وامتداد تاريخه، وتعدد أقوامه، وقد تيسر البحث فيه لنوعين من المقارنة يندر جداً أن يتيسر في رقعة أخرى من الكرة الأرضية، هذان النوعان هما: مقارنة الأديان ومقارنة الأجناس في وقت واحد^(٢).

(١) تسمى هذه البلاد بأرض الرافدين أو ما بين النهرين والمقصود بهما نهر دجلة والفرات، وأطلق عليهما ولا يزال حتى الآن اسم العراق.

وكلمة "ما بين النهرين" ترجمة للكلمة الإغريقية "ميزوبوتاميا" وأصبحت الآن تدل على كل البلاد بعد أن كانت في أصلها تدل على بابل وأشور فقط، ولذلك يفضل البعض استعمال "بين النهرين: بدلاً من "ما بين النهرين".

وأما كلمة عراق فقد اختلف في أصلها ف قيل إنه عربي الأصل بمعنى الشاطئ، وقيل إنها من أصل فارسي وتعني الساحل أو السواد، وقيل إنها ترجع إلى تراث قديم، وربما ظهر اسم العراق لأول مرة في القرن الخامس ق. م حيث أطلقه الفرس، وكان العرب يطلقون على القسم الجنوبي من البلاد اسم أرض السواد أو العراق أما القسم الشمالي فكان يعرف باسم الجزيرة.

(راجع تفاصيل ذلك في: د/ فيليب حتى: تاريخ سورية وفلسطين جـ ص ١٤٨، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول ص ٧-١٣. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى الجزء الخامس ص ١١-١٢ وادي الرافدين الطبعة الأولى ١٩٦٣ دار المعارف د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم والجزء الأول مصر والعراق ص ٣٧٤-٤٩٥، د/ تقي الدباغ: البيئة الطبيعية والإنسان ضمن سلسلة حضارة العراق الجزء الأول دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ د/ سامي سعيد الأحمد: السومريون ص ٤٣ من منشورات الجمعية التاريخية العراقية بغداد ١٩٧٥ م.

(٢) لأن مراجع الأديان الكتابية تبدئ فيها منذ عهد إبراهيم الخليل إلى عهد الشريعة الموسوية، وشريعة حمورابي إلى عهد السبي البابلي، واختلاط بني إسرائيل بالبابليين والفرس، واقتباسهم ما اقتبسوه منهم في العرف الديني والشعائر التي لها اتصال بمراسم العبادة.

(عباس محمود العقاد: إبليس دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة طبعة ١٩٨٥ م).

وديانات بلاد الرافدين كثيرة ومتنوعة بيد أن الديانات الرئيسية تتركز في ديانات كل من السومريين، والأكاديين، والبابليين، والأشوريين.

وقبل أن نتحدث عن المظاهر العامة والملامح البارزة لهذه الديانات ينبغي أولاً أن نتعرف على هؤلاء الأقوام أصحاب تلك الديانات.

١- السومريون:

بدأت خصائص العصور التاريخية^(١) في بلاد الرافدين في فترة ما تراوحت تقديرات المؤرخين بشأنها بما بين أوائل القرن الثلاثين ق.م وبين القرن الثامن والعشرين ق.م^(٢)، وتعددت مراكز التجمع والتحضير حينذاك في النصف الجنوبي من سهول النهرين^(٣)، هذه السهول ذكرتها نصوص القرن الخامس والعشرين ق.م باسم "سومر" أو "شومر"^(٤) وهو اسم ليس من المستبعد أنه كان يجري على ألسنة

(١) اصطلاح العلماء على ما يسمى بالعصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ، والمقصود بها قبل التاريخ كل الأزمنة السحيقة التي سبقت عصور اهتداء الأمم القديمة إلى الكتابة وإلى تكوين الوحدات السياسية المستقرة والقوميات الكبيرة (د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ج١ ص١٩).

(٢) وهناك آراء تذكر أن السومريين بدأوا حياتهم في إقليم ما بين النهرين عام ٣٥٠٠ ق.م (الماضي الحي ص٢٠) وأخرى تعود بها إلى عام ٤٠٠٠ ق.م (موسوعة تاريخ العالم ج١ ص٥٢) وإن كان صموئيل نوح كريم يرجع بها إلى أبعد من ذلك إلى عام ٥٠٠٠ ق.م (من ألواح سومر ص٢٣ ترجمة طه باقر، مكتبة الخانجي القاهرة).

(٣) من هذه المراكز المدن السومرية المطمورة وهي: أريدو (أبو شهرين الحديثة) وأور (المقبرة الحديثة) وأوروك المسماة (أراك) في التوراة ج٢ ص١٣ والمعروفة الآن باسم الوركاء ولاسا (المسماة في التوراة باسم الاسار، والمعروفة الآن باسم سنكره) قصة الحضارة الشرق الأدنى مجلد ١ ج٢ ص١٣.

وكانت أرض السومريين تمتد من الخليج الفارسي جنوباً حتى بغداد الحديثة شمالاً (الماضي الحي ص٢٠).

(٤) كلمة سومر تعني حرفياً - حسب كتابتها السومرية بلاد سيد أحراش القصب (هذا السيد هو الإله أنكي)، وربما تكون مأخوذة من اسم أول مدينة سومرية في بداية تاريخها.

(طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات الجزء الأول ص٩، ٥٨ د/ سامي سعيد الأحمد: السومريون ص٤١).

أصحابه قبل ذلك بزمان طويل، ثم شاع فيها بعد أكثر مما سواه والتصق بأهله الذين عرفهم التاريخ باسم السومريين^(١).

ولقد ظل العالم يجهل كل شيء عن السومريين حتى منتصف القرن الماضي (أي حوالي عام ١٨٥٠م)^(٢)، إذ تم اكتشافهم، وتتابع الأبحاث والدراسات عنهم. ولكن بالرغم من إثبات العلماء أن السومريين هم أحد شعوب الشرق الأدنى القديم وتمكنوا من معرفة كثير من حضارتهم وديانتهم، إلا أنهم لم يصلوا حتى الآن إلى الوقوف على جنسهم، ونوع لغتهم، وموطنهم الأصلي الذي هاجروا منه إلى وادي الرافدين^(٣).

وجل ما يمكن قوله بهذا الصدد أن السومريين لم يكونوا من الأقوام السامية، ولغتهم غريبة لا تشبه اللغات السامية، وأنهم ازدهروا بثقافتهم في القسم الجنوبي من العراق، ومهما كان مهدهم الأصلي الذي نزحوا منه، فالمعروف بين جمهور الباحثين أن الحضارة السومرية نشأت وترعرعت في بلاد الرافدين، وأنهم عاشوا مع الساميين، ولكنهم - على ما هو مجمع عليه - هم المؤسسون الأوائل لمقومات الحضارة والعمران، ومنهم اقتبس الساميون في العراق أصول حضارتهم^(٤).

(١) د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ج١ مصر والعراق ص٣٨٧.
(٢) صموئيل كريمر: من ألواح سومر ص٢٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الخامس ص٤١.

(٣) تفاصيل ذلك واجتهادات العلماء في تحديد أصولهم: قصة الحضارة المجلد الأول: الجزء الثاني (الشرق الأدنى) ص١٤-١٥، بريستد: العصور القديمة ص١٢٠-١٢١ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول الخاص بتاريخ وادي الرافدين ص٥٦-٦٤، د/ سامي سعيد الأحمد: السومريون وراثتهم الحضاري ص٤١-٤٥، د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم الجزء الأول ص٣٨٨-٣٩١. د/ نجيب ميخائيل مصر والشرق القديم الجزء الخامس ص٤١-٤٣.

وإن كان الدكتور فاضل عبدالواحد يرى أنه ليس هناك ما يبرر الافتراض القائل بهجرة السومريين من بلد آخر إلى جنوب وادي الرافدين، ويذهب إلى أنهم امتداد لأقوام عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين (راجع السومريون والأكاديون) ضمن كتاب العراق في التاريخ ص٦٣-٦٨ بغداد ١٩٨٣.
(٤) صموئيل كريمر: من ألواح سومر ص٨-٩، ه.ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد المجلد الأول والكتاب الثالث ص١٥٩ طبعة ١٩٦٩ لجنة التأليف والترجمة، صموئيل هنري هوك: منعطف المخيلة البشرية ترجمة صبحي حديدا نشر دار الحوار: سورية الطبعة الأولى ١٩٨٣.

وبالرغم من أن اليهود لم يعاصروا السومريين، إلا أن التعرف على ديانتهم وذكرها ضمن الديانات التي عاصرها اليهود من الأمور اللازمة حيث إن هذه الديانة ظلت باقية ومؤثرة في حياة البابليين والآشوريين اللذين اختلط بهما اليهود.

٢- الأكديون:

من أشهر هجرات الساميين من الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين كانت هجرة الأكديين أو الآكاديين، فهم الساميون الأول الذين استوطنوا العراق القديم بل إن الدكتور حسن ظاظا يذهب إلى أنهم أول شعبة سامية تظهر على مسرح التاريخ^(١).

وقد قامت على يد هؤلاء الأكديين الدولة الأكدية المشهورة، إذ أنهم عاشوا أولاً مع السومريين جنباً إلى جنب وتفاعلوا معهم^(٢)، ثم بدأوا يحاربونهم ويغيرون عليهم حتى ظهر فيهم سرجون الأول^(٣) فوحدهم وهزم السومريين وفرق شملهم واستولى على دولتهم، وأسس إمبراطورية كبيرة جعل عاصمتها مدينة أكد^(٤)، وعرفت بالإمبراطورية الأكدية.

(١) الساميون ولغاتهم ص٢٦ وراجع أيضاً د/ فرج بصمجي: أقوام الشرق وهجراتهم ص٩٢ مجلة سومر المجلد الثالث ١٩٤٧ م.

(٢) د/ فاضل عبدالواحد: السومريون والأكديون ضمن العراق في التاريخ ص٧٢.

(٣) ويلز: العالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول الكتاب الثالث ص١٦٠.

واسم سرجون في اللغة الأكدية "شرو - كينو" ومعناه حرفياً الملك المكين، أو الرئيس القوي، أو الملك الشرعي، ولعله يقصد بذلك إثبات شرعيته إذ أنه لم يكن من أبناء الملوك فلم يعرف التاريخ له أبا، وإنما كانت أمه عاهرة من عاهرات المعابد، ولكنه استطاع الوصول إلى العرش بقيامة بثورة مسلحة ضد الملك (راجع أندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها ترجمة د/ عيسى سليمان وسليم طبعة دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٨ ص٢١١، ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج٢ ص١٨، د/ ظاظا: الساميون ص٣٤ د. عبدالعزيز صلاح: الشرق الأدنى ج١ ص١٨٤، ويقول عنه بريستيد... كان سرجون أول قائد عظيم في تاريخ الجنس السامي، وأول ملك أنشأ أمة عظيمة في آسيا الغربية، وكان لفتوحاته الباهرة تأثير شديد في نفوس سكان ما بين النهرين لم يمحه مر السنين وتراخي الحقب (راجع العصور القديمة ص١٣٣-١٤٤ وراجع أيضاً د/ حتى: موجز تاريخ الشرق ص٣٧، الماضي الحي ص٣٢).

(٤) مدينة أكد هي التي انتسب إليها الأكديون وهي مدينة قديمة في أرض شنغار وفي مملكة بابل وتذكر في سفر التكوين ١٠:١٠ جنباً إلى جنب مع بابل كجزء من مملكة نمرود بن كوش، وقد جعلها سرجون الأول عاصمة الإمبراطورية حوالي عام ٢٤٠٠ ق.م وربما كان موقع هذه المدينة بقرب "أبي هبة" على نهر الفرات شمال بابل (قاموس الكتاب المقدس ص٩٧).

وكان تأسيس هذه الإمبراطورية في الألف الثالث ق.م^(١).

هذا وبالرغم من غلبة الأكاديين على السومريين، إلا أنهم اندمجوا فيهم، وتأثروا بحضارتهم، وتبنوا ديانتهم واقتبسوا منها الكثير كما سرى.

٣- البابليون:

أطلق اسم البابليين على عدد من الدول التي تأسست في بلاد بابل على مدى تاريخها الطويل، ويهمننا في هذا الفصل أن نشير إلى دولتين من هذه الدول أو إلى عصرين من عصور البابليين:

١- العصر البابلي القديم (دولة بابل الأولى) (٢٠٠٦-١٥٩٥ ق.م):

يرجع البابليون القدماء في أصلهم إلى العموريين أو الأموريين^(٢)، الذين استولوا على مدينة بابل^(٣) الصغيرة في نهاية الألف الثالث ق.م، والتي لم تكن في ذلك العهد

(١) يتفق المؤرخون على أن حكم سرجون كان في الألف الثالث ق.م ويتفقون أيضًا على أنه حكم حوالي خمسة وخمسين عامًا وإن كانوا يختلفون في تحديد بداية ونهاية هذه الفترة (راجع جورج رو: العراق القديم ترجمة حسين علوان وزارة الثقافة بالعراق ٩٨٤م أنديره بارو: سومر ص ٢٢١، د/ فاضل عبدالواحد: السومريون والأكديون ص ٧٥).

د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر: دار النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

(٢) كلمة أموريين منقولة عن الاصطلاح السومري "مارتو" ومنه الكلمة الأكديّة "أمورو" وسأهم السومريون "أهل مارتو" أي أهل الغرب، ثم ساهم الأكديون بالأموريين (د/ حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٧٠، د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى ج ١ ص ٤٤٧).

والأموريون أو العموريون هم الموجة الثانية من موجات الهجرة السامية إلى بلاد الرافدين وكانوا قد أقاموا أولاً في شمال سورية (موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٥٢).

(مارسون أو رسيل: الفلسفة في الشرق - ٣٣-٣٤ ترجمة محمد يوسف موسى (صموئيل هوك: منعطف المخيلة البشرية ص ١٥-١٦).

(٣) جاء اسم بابل من لفظ "باب ايلو" من اللغة الأكديّة ومعناه "باب الله" ونفس اللفظ ترجمة للكلمة السومرية "كادنجر" د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ٤٦٠، وتظهر أهمية بابل في العصور القديمة من ورود ذكرها في الكتاب المقدس أكثر من مائتي مرة وقد وردت في سفر التكوين ١٠: ١٠ / ١٤ : ١ على أنها العاصمة العظيمة لمملكة بابل القديمة "شنغار".

وقد أطلق هذا الاسم أيضًا على أهل المدينة وعلى البابليين جميعًا (ملوك ثان: ٢٤: ١ / ٢٧: ٥ / مزمو ١٣٧: ١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٥٢.

وقيل إن اسم بابل لم يطلق على كل البلاد البابلية إلا في عهد الفرس ثم انتقل هذا الاستعمال منهم إلى اليونان (ولفسون: تاريخ اللغات السامية ص ٢٥).

إلا قرية على الفرات لا شأن لها ولا خطر، ثم أخذوا يغيرون على سومر وأكاد طمعاً في الاستيلاء عليها^(١).

ويبدأ هذا العصر بسيطرة الأموريين فعلاً على ممالك سومر وأكاد، إذ أنهم قاموا بتوحيد البلاد وأسسوا ما يسمى بسلالة بابل الأولى^(٢)، وكان من أشهر ملوك هذه السلالة الملك حمورابي^(٣).

الذي دام ملكه أكثر من أربعين عاماً^(٤) ولا ترجع شهرته إلى عبقريته العسكرية وانتصاراته الحربية فقط، وإنما إلى القانون الذي يعرف به (قانون حمورابي).

(١) بريستيد: العصور القديمة ص ١٣٨-١٣٩ منعطف المخيلة البشرية ص ١٥-١٦ د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٤٢٠ د/ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات الجزء الأول ص ٤٠٤-٤٠٥/٤٢٨-٤٢٩ د/ سامي سعيد الأحمد: العصر البابلي القديم ضمن كتاب العراق في التاريخ ص ٨٣-٨٨.

(٢) د/ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات الجزء الأول ص ٤٠٤-٤٠٥/٤٢٨-٤٢٩ د/ سامي سعيد الأحمد: العصر البابلي القديم ضمن كتاب العراق في التاريخ ص ٨٣-٨٨.

(٣) اسم حمورابي مركب من كلمتين "حمو" وهم اسم إله سامي غربي من الآلهة الشمسية كما يدل على ذلك اسمه الذي يعني الحرارة، وكلمة "رابي" ومعناه عظيم أو كبير، ويجوز قراءتها "رافئ" بمعنى "مكثر" ويسمى أيضاً عمورابي.

(د/ طه باقر: المصدر السابق ص ٤٢٩، د/ سامي سعيد الأحمد المصدر السابق ص ٨٨). يكاد المؤرخون يجمعون على أن فترة حكم حمورابي كانت في القرن الثامن عشر ق.م ولكنهم يختلفون في تقديرها بالتحديد وأرجح الأقوال أنها (١٧٩٣-١٧٥١) ق.م.

(راجع الحديث عن حمورابي وعصره في بريستيد العصور القديمة ص ١٣٩، وما بعدها وج. دي بورج: تراث العالم القديم ج ١ ترجمة زكي سوس ص ٤٠ نشر دار الكرنك القاهرة ١٩٦٥ م، جورج رو: العراق القديم ص ٢٦٧ وما بعدها، أندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها ص ٣٠٩ د/ سامي سعيد الأحمد: العصر البابلي القديم ضمن العراق في التاريخ ص ٨٨ وما بعدها، د/ فرج بصمجي: أقوام الشرق القديم ص ٩٢-٩٣، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ٤٦٢).

(٤) يكاد المؤرخون يجمعون على أن فترة حكم حمورابي كانت في القرن الثامن عشر ق.م ولكنهم يختلفون في تقديرها بالتحديد وأرجح الأقوال أنها (١٧٩٣-١٧٥١) ق.م.

(راجع الحديث عن حمورابي وعصره في بريستيد العصور القديمة ص ١٣٩، وما بعدها وج. دي بورج: تراث العالم القديم ج ١ ترجمة زكي سوس ص ٤٠ نشر دار الكرنك القاهرة ١٩٦٥ م، جورج رو: العراق القديم ص ٢٦٧ وما بعدها، أندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها ص ٣٠٩ د/ سامي سعيد الأحمد: العصر البابلي القديم ضمن العراق في التاريخ ص ٨٨ وما بعدها، د/ فرج بصمجي: أقوام الشرق القديم ص ٩٢-٩٣، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ٤٦٢).

ب - العصر البابلي الحديث (دولة بابل الأخيرة) (٦٢٦-٥٣٩ ق.م):

في هذا العصر قامت الدولة البابلية الأخيرة على أيدي الكلدانيين^(١) بقيادة ملكهم الأول نبوبولاصر (٦٢٦-٦٠٤ ق.م) الذي ثار على حكم الآشوريين وقضى على دولتهم^(٢).

وبلغت هذه الدولة أوج مجدها في عهد ابنه بنوخدنصر (بختنصر) والذي دام حكمه مدة طويلة بدأت من ٦٠٤ إلى ٥٦٢ ق.م.

وقد اعتبر المؤرخون هذه المدة من أزهى الفترات التي عاشها الساميون - على امتداد التاريخ القديم - في العراق عسكريا وحضاريا^(٣)، ولكن أهمية وخطورة هذه الفترة تتمثل فيما يعنيها - بوقوع الأسر البابلي لليهود فيها، وقيام بختنصر بتدمير أورشليم^(٤).

هذا وقد تعاقب على عرش هذه المملكة بعد بنوخدنصر عدد من الملوك، ولكنهم

(١) ما يزال معرفة أصل الكلدانيين موضع جدل للصعوبات التي تكتنفه وندره المصادر عنه (د/ سامي سعيد الأحمد: بابل الحديثة ضمن العراق في التاريخ ص١٦٣ بغداد ١٩٨٣)، وإن كان هناك من يذهب إلى أنهم فرع من الأراميين (د/ عبدالعزيز صالح مصر والعراق ص٥٤٨-٥٥٠)، ويذكر كل من بريستيد وويلز أنهم قوم من الساميين الرحل زحفوا من الجنوب الشرقي وأنهم آخر من تسلطوا على بابل من الساميين، وقد أعادوا بنيان مدينة بابل بعد تدميرها على يد الآشوريين وجعلوها عاصمة مملكتهم، ولكنهم دعوا البلاد كلها باسمهم فصار اسمها كلدية وكانت تشمل على جميع أراضي الهلال الخصيب (العصور القديمة ص١٨٠ معالم تاريخ الإنسانية مجلد ١ كتاب ٣ ص١٦٣).

وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن الكلدانيين كانوا يسكنون كلديا في جنوب بابل وكانوا هم الجنس الغالب في بابل، وكانوا يشغلون كل مناصب السلطة والسيادة فيها، وملأوا كل مناصب الكهنوت في العاصمة بحيث أصبح كلداني مرادفاً لكاهن الإله البابلي (قاموس ص٧٨٥).

(٢) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن هذا الملك وثورته وتوسعه في الحكم راجع طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج ١، ص ٥٤٦، د/ سامي سعيد الأحمد: سلالة بابل الحديثة ضمن العراق في التاريخ ص ١٦٤.

(٣) راجع جورج رو: العراق القديم ص٥٠-٥١٠، بريستيد: العصور القديمة ص١٨١ دي بورج: تراث العالم القديم ج١ ص٤٣، طه باقر: المصدر السابق ص٥٤٦-٥٤٧ د/ سامي سعيد الأحمد: المصدر السابق ص١٦٤/١٦٥، د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص٥١.

(٤) تفصيل ذلك في الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد التي تعرض لها اليهود.

لم يكونوا في درجة قوته، ولذلك فإنها أخذت في الضعف والانحيار حتى سيطر عليها الفرس عام ٥٣٩ ق.م.^(١).

٤- الآشوريون:

الآشوريون^(٢) هم أحد الشعوب السامية التي نزحت إلى الهلال الخصيب وقد استقروا في القسم الشمالي من العراق، ربما منذ مطلع الألف الثالث ق.م.^(٣).

ونظرًا لطول تاريخهم، وتعدد مراحلهم، فقد درج المؤرخون وعلماء الآثار على تقسيمه إلى العصور التاريخية التالية:

١- العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م).

٢- العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠-٩١١ ق.م).

٣- العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)^(٤).

ويهمنا من هذه العصور بوجه عام العصر الآشوري الحديث^(٥) الذي شهد قيام إمبراطوريتين:

(١) راجع د/ طه باقر: المصدر السابق ص ٥٥٠ وما بعدها.

(٢) اسم الآشوريين مأخوذ من النسبة إلى آشور، وقد اشترك في اسم آشور كل من الأرض والعاصمة والمعبود الأكبر للآشوريين بجانب سكانها الأوائل مع تحويره في التشكيل والنطق بين كل حالة وأخرى ووردت تسمية آشور في بعض النصوص الأرامية بلفظ آشور وذكرتها النصوص المصرية باسم "اسر" وأسور (طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج ١ ص ٤٧١-٤٧٢، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ٥٠٠، ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص ٣٠) وردت كلمة آشور في العهد القديم للدلالة على اسم ثاني أبناء سام وإلى الآشوريين للدلالة على بلادهم أيضًا (تكوين ٢: ١٤/ ١٠: ٢٢ أشعيا ٣١: ٨).

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨ دائرة المعارف للبستاني مجلد ٣ ص ٧٠٩.

(٤) أندرية بارو: بلاد آشور: نينوي وبابل: وزارة الثقافة بغداد ١٩٨٠ ص ١٧، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ١ ص ٣١٢، د/ عامر سليمان: العصر الآشوري ضمن كتاب العراق في التاريخ ص ١١٩، د/ حسن ظاظا: الساميون ص ٤٦-٤٧.

(٥) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج ١ ص ٤٧٥ وما بعدها.

(٥) لقد تميز هذا العصر على مدى قرونه الثلاثة - بتعاظم قوة الآشوريين وازدهار حضارتهم وامتداد نفوذهم حتى شملت حدود دولتهم جميع بلاد الشرق الأدنى القديم، فكانت أعظم إمبراطوريات الشرق القديم.

راجع طه باقر: المصدر السابق ص ٤٩٧-٤٩٨.

أ- الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١-٧٤٤ ق.م).

ب- الإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٤-٦١٢ ق.م).

ويهمنا بوجه خاص عهد الإمبراطورية الثانية التي اتصل اليهود بها اتصالاً مباشراً وقضت على مملكة إسرائيل بعد أن احتلت عاصمتها السامرة، وقامت بسبي أهلها بما عرف بالسبي الآشوري^(١).

صعوبة التمييز بين ديانات بلاد الرافدين:

يعسر على الباحث الوقوف على أصول ديانات بلاد الرافدين، أو معرفة بدايتها الأولى، ويرجع ذلك إلى تعدد الشعوب التي توافدت عليها، واختلاف الأجناس التي قطنت بها، فأحدث ذلك نوعاً من الامتزاج الحضاري والاختلاط الديني بين هذه الشعوب وتلك الأجناس.

وكل ما يمكن قوله في هذا الشأن أن ديانة السومريين كانت هي الأساس الأول والمشارك فيما يرى المؤرخون^(٢) لديانات الساميين في بلاد الرافدين، إذ أن الساميين قد وفدوا عليهم، فذابوا في حضارتهم، واندمجوا في ديانتهم.

يقول موسكاتي "وطابع التوفيق بين الأشياء المختلفة الذي يميز حضارة أرض الرافدين لا يتجلى في شيء كما يتجلى في نظمها الدينية، فالهتها السامية هي إلى حد كبير آلهة سومرية قبلها الغزاة المنتصرون مع بعض التعديل"^(٣).

وقد عبدت هذه الآلهة السومرية من قبل السومريين والساميين لأكثر من ثلاثة آلاف عام ولعبت المعتقدات الدينية السومرية في هذه الفترة دوراً غير اعتيادي في توجيه مناحي الحياة العامة والخاصة لسكان وادي الرافدين^(٤).

(١) تفصيل ذلك في الفصل الخاص بقنوات الاتصال التاريخية، وفي الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد.

(٢) راجع الفلسفة في الشرق ص٦٦، ٦٧، معالم تاريخ الإنسانية مجلد ١ ك٣ ص١٦٠.

(٣) الحضارات السامية ص٧٥.

(٤) جورج رو: العراق القديم ص١٢٨ بل إن صمويل كريمر يذهب إلى أن آراء ومعتقدات السومريين أصبحت فيما بعد عقائد ومبادئ أساسية لكثير من شعوب الشرق الأدنى القديم. (من ألواح سومر ص١٥١-١٥٢).

إذ كان استيعاب الساميين لعناصر الحضارة السومرية متصلًا واسع النطاق إلى حد صارت معه جوانب عدة من الحضارات السامية تعتمد اعتمادًا مباشرًا على تلك العناصر^(١).

ونتيجة ذلك أصبح ولا يزال من العسير أن نحدد في الدين (السومر أكادي) ما يرجع أصله إلى العنصر السامي من السكان وما هو من أصل سومري حيث استقرت العقائد الأصلية واستمرت اللغة السومرية مستخدمة في ممارسة العبادة، وأداء الطقوس، حتى بعد اختفاء السومريين^(٢).

وكذلك الأمر فيما يتعلق بديانتي البابليين والآشوريين، فكما يقول ول ديورانت "كل ما في وسعنا أن نقوله، إن حضارتي البابليين والآشوريين مستمدتان من سومر وأكد، أو أن سومر وأكد لقحتا الحضارتين البالية والآشورية بلقاحهما، ذلك أن آلهة بابل ونيروي^(٣) وأساطيرهما الدينية، ليست في كثير من الأحوال إلا آلهة وأساطير سومرية طرأ عليها التحوير والتطوير^(٤).

الخصائص العامة لديانات بلاد الرافدين^(٥).

ولذلك فإنني إذ أتحدث عن الخصائص العامة والصفات البارزة لديانات بلاد الرافدين نجد أن أول صفة من هذه الصفات صفة:

(١) موسكاتي: الحضارات السامية ص ٧٣-٧٤.

(٢) ل. ديلابوت: بلاد ما بين النهرين (الحضارات البابلية والآشورية) ص ١٦٥ ترجمة محرم كمال، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب القاهرة، تحت رقم (٣٥) من سلسلة الألف كتاب، بدون تاريخ. راجع أيضًا د/ عبد المنعم أبو بكر: العراق القديم ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم ص ٢٩٨، ٣٠١ مكتبة مصر القاهرة بدون تاريخ.

هذا وقد عاش الشعبان السومري والأكادي مختلطين بعضهما ببعض إلى حد كبير، فكانت حضارة أرض الرافدين وتاريخها نتاج شعب مركب يستحيل في كثير من الأحيان التمييز في وضوح بين العنصرين الأساسيين الذين يتألف منهما (راجع موسكاتي ص ٦٦، وول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ٢ ص ١٩٠).

(٣) هي عاصمة الآشوريين بعد مدينة أشور.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٤٢-٣٤ راجع لانجر: موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٥٥.

(٥) بناء على ما رأينا من امتزاج واختلاط الديانات المختلفة رأيت أن من الأفضل الاكتفاء بذكر الخصائص العامة والصفات البارزة لديانات بلاد الرافدين.

أ - الاستمرارية:

والمقصود بالاستمرارية هو أن الطقوس والمعتقدات والآلهة ظلت محافظة على جوهرها خلال العصور التاريخية المختلفة، وهذا يعكس طبيعة الديانة العراقية القديمة في الاستمرار والتواصل وبأنها ديانة جميع الأقوام التي عاشت في بلاد الرافدين في الفترات الزمنية المختلفة^(١).

ب - التشبيه:

ومن أبرز الخصائص العامة في ديانات بلاد الرافدين شيوع صفة التشبيه ووجود مذهب المشبهة أو مبدأ التأنس، والمقصود بذلك أن تنسب إلى الآلهة صفات البشر الروحية والمادية كالصورة والأعضاء والفكر كما عند الإنسان غير أنها كانت تتميز عنهم بصفة الخلود^(٢).

فقد نقل السومريون ومعهم الساميون إلى آلهتهم جميع الأفعال التي يمارسها البشر في حياتهم الخاصة والعامة، فهي تعيش وتأكل وتتزوج وتلد، وتسكن في بيوت (هي المعابد المشيدة لها، وفيها خدمها وطهاها وكهنتها، ولكل إله زوج أو زوجات، وسراري ومعشوقات، وله بنون وبنات)^(٣)، وهم يرتدون لباسًا كلباس

(١) راجع طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين ص ٢-٣ مجلة سوتر العراقية المجلد الثانية سنة ١٩٤٦م، راجع أيضًا د/ عامر سليمان: جوانب من حضارة العراق القديم ضمن كتاب العراق في التاريخ ص ٢١٠-٢١١.

(٢) وقد يحدث أن يموت بعض الآلهة مثل الإله الذي يمثل فصل الربيع، ويكون ذلك لأمد محدد ويفسر الموت بالذهاب للعيش في العالم الأسفل (راجع جورج رو: العراق القديم ص ١٣٠، طه باقر: ديانة البابليين ص ٥٥ مجلة سومر ١٩٤٦م).

(٣) ديلابورت: بلاد ما بين النهرين ص ١٦٦، كريم: من ألواح سومر ص ١٥٤، ١٦٩، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج ٣ ص ٣٢٩-٣٣٠ ديانة البابليين ص ٤٥-٥٥ مجلة سومر، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الجزء السادس (حضارة العراق القديمة ص ١٠٩-١١٠ الطبعة الثانية ١٩٦٧ دار المعارف، د/ عامر سليمان: جوانب من حضارة العراق القديم ضمن العراق في التاريخ ص ٢١١.

البشر، ولكن ثياب الآلهة كان أبهى من ثياب الأمراء كان يصدر عنها بريق يخطف الأبصار^(١).

وتقع أيضًا من هذه الآلهة كل أخطاء ونزوات البشر، فأفكارها قابلة للنضوب رغم علمها وثقافتها الواسعة، وهي معرضة للنزق والطيش والظلم رغم اشتهاها بالعدالة، وهي تتخاصم وتتحارب وتتألم، ويمكن أيضًا أن تجرح، وبإيجاز، فقد كانت آلهة بلاد الرافدين تمثل أفضل جوانب الطبيعة البشرية وأسوأها^(٢).

جـ - الحيوية:

ومن الخصائص العامة أيضًا وجود مبدأ الحيوية^(٣) وهو الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح في جميع الظواهر الطبيعية.

فالآلهة السومرية والسامية في الأصل ما هي إلا تجسيم أو تمثيل للظواهر البارزة في هذا الكون، ولا سيما القوى التي كانت تؤثر في حياة القوم كالكواكب والظواهر الجوية المختلفة وفي مقدمتها القمر^(٤)،

= ويقول ول ديورانت: "ولم يكن الآلهة بمنأى عن الأهلين، فقد كان معظمهم يعيشون على الأرض في الهياكل، يأكلون الطعام بشهية قوية، ويزورون الصالحات من النساء في أثناء الليل فيستولدونهن أطفالاً" قصة الحضارة مجلد ١ ص ٢١٤.

(١) موسكاتي الحضارات السامية ص ٧٥.

(٢) راجع جورج رو: العراق القديم ص ١٣.

وتقرأ في أدب وأساطير بلاد الرافدين تصوير كيد الأرباب بعضهم لبعض، وإسفاف بعضهم مع بعض، وشيوع البغاء والمضاجعة والحسد في مجتمعهم.

(راجع كريم: من ألواح سومر ص ١٤٥، ١٨٦).

د/ عبدالعزيز صالح الشرق الأدنى القديم جـ ١ مصر والعراق ص ٤٤٦.

(٣) راجع طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات جـ ص ٣٣٠ ديانة البابليين ص ٤ مجلة سومر، د/

عبدالعزیز صالح: مصر والعراق ص ٣٩٨-٣٩٩، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد دار النهضة العربية ص ١٤٨، ١٣٨.

(٤) يأتي إله القمر قبل إله الشمس في ترتيب الآلهة بناء على ما اعتقدوه من أن إله الشمس ابن لإله القمر، وقد اشتهر إله القمر باسم (سين) وهو اسم سومري نقله الأكديون عن السومريين، وله نظائر سامية لدى الآراميين والأموريين، وله أيضًا أسماء آخر منها (ننا) بمعنى رجل السماء وحرفه الأكديون إلى (ننر) أي المنير "سين" هو سيد الشهر، وكان خسوف القمر يمثل أهول الظواهر =

= وأشدّها روعاً، وكان ينسب إلى هجوم على الإله "سين" من سبع أرواح شريرة في السماء، وكانت صورة الكارثة تختلف حسب الشهر الذي يقع فيه الخوف، فكانت ترسل الدعوات إلى الإله، وتقدم إليه القرابين، حتى لا يولد من جديد أشدّ بهاء من ذي قبل منتصراً على الظلمات والموت. وكان لهذا الإله زوجة تسمى "ننجل" وقد أنجبا كما يزعمون الإله "شمش" إله الشمس والآلهة "عشتار" واعتبروا "نسكو" إله النار ابناً لها في بعض الأحيان. وكانت مدينة أور مركز عبادة هذا الإله "سين" وزوجته وابنتها نسكو وزوجته، وانتقلت عبادة هذه الآلهة إلى حران (في آرام) في الشمال، وانتشرت عبادة إله القمر من أور إلى كل أرجاء بابل ومن حران إلى سوريا وفينيقية.

راجع د. السيد يعقوب بكر: ناقلاً عن مصادر أجنبية: هوامش موسكاتي ص ٢٥٤-٢٥٥ الماضي الحي ص ٢٦-٢٧، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٢٩، طه باقر: ديانة البابليين مجلة سومر ص ١٢٦-١٢٤ د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٦ ص ١٢٤-١٢٦. وعن كيفية ولادة إله القمر من الإله أنليل توجد أسطورة سومرية تبرز تصور السومريين للآلهة كيف تتزوج ويتصل ذكرها بأنثائها ثم يحدث الإنجاب. راجع هذه الأسطورة من ألواح سومر ص ١٦٥-١٦٩.

(١) إله الشمس (شمش) يأتي في مرتبة الآلهة بعد أبيه إله القمر، وذلك لاعتقادهم أن النهار يتولد من الليل فالشمس بنت القمر، وكان السومريون يسمونه أوتو، وكان يرمز به بقرص ذي جناحين، ومن ألقابه "نور العالم" و"نور الآلهة" وهو الذي يطارد الظلمات، ويقصر النهار ويطيل الليل كما يشاء، وحياة العلم متوقفة عليه، فهو الذي يهب الحياة، وهو الذي يحيي الموتى وكان له زوجة تسمى "ايا" وكان له أبناء ومستشارون يعاونونه في القضاء، وكانت له عدة مراكز هامة للعبادة منتشرة في البلاد وبالرغم من تخصص عبادته هو وإله القمر "سين" في هذه المراكز إلا أنهم كانوا بسبب طبيعتهما من المعبودات الجماهيرية حيث كانوا يطلقون ذلك عليها.

(راجع جورج رو: العراق القديم ص ١٣١، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي ص ٢٥٥-٢٥٦، طه باقر: مجلة سومر ص ١٧-١٨، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٦ ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) اتخذ أهل الرافدين آلهة للعواصف والقواصف وكان من أبرزها الإله أدد "وكان يسمى لدى السومريين (اشكر) ويرمز إليه في كتابتهم بالرمز ومعناه "الريح".

وكانت لأدد مكانة رفيعة في البلاد حين قامت الدولة البابلية الأولى، وفي قانون حمورابي يذكر أنه هو الذي يغرق الحقول ويحرق المحاصيل إذ أنه كان يمثل العاصفة سواء في مظهرها اللين السخي من مطر وفيضان أو في مظهرها العنيف المدمر من برق وإعصار فقد كان قوة مدمرة وسخية في نفس الوقت، وكان له زوجة تسمى "شلا"، وكان يعبد في مدينة (شور منذ بداية الإمبراطورية الآشورية) ويعد فيها ابناً لإله السماء (أن).

وبجانب هذه الآلهة كان يوجد الإله نجرسو على أنه إله العاصفة.

(راجع موسكاتي ص ٧٥، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي ص ٢٥٧-٢٥٨) ناقلاً عن مصادر أجنبية، طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين مجلة سومر ص ١٨ د/ نجيب ميخائيل ج ٦ ص ١٣٥-١٤٠.

ومن هذه الخصائص أيضًا بل من أبرزها وضوحًا شيوع مبدأ "تعدد الآلهة"^(١) وانتشار صفة الشرك في ديانة بلاد الرافدين، شأنها في ذلك شأن سائر الديانات الوضعية القديمة.

ويرجع ذلك إلى أن هذه الآلهة - كما ذكرت آنفًا - كانت في أصلها تمثل الظواهر الطبيعية المختلفة، ولما كانت هذه الظواهر كثيرة، وتكاد تكون غير محدودة، فإن الآلهة قد ازدادت بزيادتها وتعددت بكثرتها، حتى وصل عددها إلى الآلاف^(٢).

مجمع الآلهة:

ولكن عندما تدرج القوم، وارتفع مستواهم الاجتماعي، وتكونت المدن المعظمة، وتوحد القطر، وانتقل من عهد دويلات المدن إلى دور الإمبراطوريات الكبيرة ولد كل ذلك الحاجة إلى عملية الانتخاب من بين هذه الآلهة الكثيرة.

وتم انتخاب عدد كبير منها - مع تمييز بين الأهم والمهم من بين الظواهر الطبيعية التي تمثل الآلهة - وتنظيمها في مجاميع، وتحديد صفاتها ووظائفها، وعلاقتها بعضها ببعض وبالبشر، مما كون لديهم لاهوتًا منظمًا، ونتج من هذا الانتخاب مجموعة كبيرة من الآلهة أطلق عليها "مجمع الآلهة" وكثيرًا ما

(١) راجع ألواح سومر: ص ١٧٠-١٧١، طه باقر: ديانة البابليين مجلة سومر ص ٤-٥ د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ٣٩٨، د/ محمد جابر عبدالعال: في العقائد والأديان ص ٦٨-٧١ الهيئة العامة المصرية للتأليف والترجمة ١٩٧١ م.

(٢) إن الآلهة على كثرتها قد بلغت الألوف عدا توشك أن تملأ قاموسًا كبيرًا "أو مجلدًا ضخماً" وقد ألفت فعلاً عدة قواميس لهذه الآلية.

يذكر العقاد أن أهل الرافدين قد ارتفعوا بعدد الآلهة إلى أربعة آلاف وقرنوا بها أندادًا لها من الشياطين والعفاريت تبلغ هذا العدد أو تزيد (الله ص ٢٠ الطبعة السادسة ١٩٦٩ دار المعارف).

ويقول ول ديورانت: "إن الآلهة قد كثرت لأن أهل الرافدين كان لهم في خلقها خيال واسع لا ينضب معينه، وقد أحصى عدد الآلهة إحصاء رسميا في القرن التاسع ق.م فكانوا حوالي خمسة وستين ألف إله (قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٢١٣).

كانوا ينظمون آلهة هذا المجمع إلى مجموعات^(١) صغيرة تحتوي كل منها على عدد من الآلهة يبلغ ثلاثة أو أربعة وعلى رأس تلك المجموعات تقف تلك المجموعة الرباعية المكونة من هؤلاء الآلهة: أنو^(٢)، إنليل^(٣)، إنكي^(٤)،

(١) راجع كيفية تكوين هذه المجموعات وقيام الآلهة بوظائفها في إطار تلك المجموعات: أرنولد توينبي: تاريخ البشرية الجزء الأول ص ٨١-٨٠ ترجمة نقولا زيادة بيروت ١٩٨٥ جورج رو: العراق القديم ص ١٣٠-١٣٥، صمويل كريمر: من ألواح سومر ص ١٥٥-١٥٦ موسكاتي: الحضارات السامية ص ٧٥، لانجر: موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٥٤، طه باقر ديانة البابليين مجلة سومر ص ٥، د/ عبد المنعم أبو بكر: العراق القديم ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٠٢.

(٢) أنو أو (أن) أو (أنوم) هو إله السماء كان يعتبر الإله الأعظم على مدى عصور التاريخ القديم فهو يتصدر دائماً قوائم الآلهة، وتعتبره الآلهة أباً لهم جميعاً، وكان له السلطة العليا التي تجعلهم خاضعين له، فكان يفصل في منازعاتهم، وقراراته مطلقة لا تقبل الرد ولا الاستئناف، وكان له زوجة تسمى "انتوم" (ديلايورت: بلاد ما بين النهرين ص ١٦٨، جورج رو: العراق القديم ص ١٣٣، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي: ص ٣٥٢-٢٥٣، طه باقر: ديانة البابليين سومر ص ١٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٦ ص ١٣٣-١١٥، د/ فوزي رشيد: المعتقدات الدينية ضمن كتاب حضارة العراق الجزء الأول ص ١٤٩-١٥٢ العراق بغداد ١٩٨٥ م.

(٣) إنليل: (إله الجو والهواء) والمعنى الأصلي لاسمه المركب (إن - ليل) هو "سيد الريح" والريح تهب في اعتقاده من الجبل، ولهذا القلب ليليل بـ "الجبل الكبير" في السومرية. وبالرغم من أنه يأتي في المرتبة بعد "أنو" لأنه أحد أبنائه - إلا أنه نجح في اغتصاب حق "أنو" والاستحواذ على السيادة المطلقة على كافة الآلهة (وهو الذي أحدث الطوفان في اعتقادهم، وكانت له زوجة تسمى "ننليل" واسمها مأخوذ من اسمه، وله سبعة أولاد (جورج رو: العراق القديم ص ١٣٣، ديلايورت: بلاد ما بين النهرين ص ١٦٩، د/ رشيد الناصوري: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ص ٥٦ بيروت ١٩٦٩ م، د/ فوزي رشيد/ المعتقدات الدينية (حضارة العراق ج ١ ص ١٥٢-١٥٤ ولمعرفة نموذج من أعمال هذا الإله، وكيفية خلقه للصيف والشتاء وفصله بينهما في تصورهم - راجع من ألواح سومر ص ٩٨-١٠٣ د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ٣٩٩.

(٤) إنكي: هو الاسم السومري القديم ويعني "سيد الأرض" ولأن الأرض لا تثمر بدون الماء فقد سار "إنكي" إله المياه وأصبح اسمه "إيا" أي بيت الماء، ويطلق على مملكته أـ "إيسو" مسكن المعرفة، وبجانب ذلك فهو إله السحر والمعوذ بين الآلهة حيث إن الماء كان يستعمل في التطهير والقضاء والتنبؤ (ديلايورت: بلاد ما بين النهرين ص ١٦٩، د/ السيد بكر: هوامش موسكاتي ص ٢٥٣-٢٥٤، د/ نجيب ميخائيل ج ٦ ص ١١٧-١٢١.

ولمعرفة مزيد من أعماله التي تنسب إليه راجع من ألواح سومر ص ١٧٨-١٨٢ د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ١٥٥-١٥٨.

نخرساک^(١)، وتعتبر آلهة هذه المجموعة من الآلهة العظام - في تصورهم - التي عمت عبادتها وتقديسها جميع أنحاء البلاد، واستمرت عبادتها وتقديسها أيضا في جميع أدوار التاريخ^(٢).

عقيدة التفريد و"الآلهة القومية"

هذا ولم تعرف - حسب معلوماتنا -^(٣) عقيدة التوحيد الخالص في ديانة بلاد الرافدين، وإنما وجد لديهم ما يسمى بعقيدة "التفريد" وهي لا تعني توحيدًا خالصًا، وإنما تعني أفراد إله واحد بالتقديس، والاقتصار عليه في العبادة، من بين هذه الآلهة المتعددة وتفضيله عليها، وهم في ذلك لم يتخلصوا من الوثنية، بل بقيت عالقة في تصوراتهم الوثنية لهذا الإله، وما يصفون عليه من خرافات، وما ينسبونه إليه من أعمال بشرية، وما يصفونه به من أوصاف آدمية.

وهم في نفس الوقت لا ينكرون وجود بقية الآلهة، وإنما يعتقدون بوجودها ولكنها منهزمة ومستسلمة لإلههم القومي الكبير، أو أنهم ليسوا سوى مظاهر لهذا الإله.

ويمكن لنا أن نضرب لذلك مثلين، أو نأخذ نموذجين من الآلهة القومية ممثلين في عبادة كل من البابليين والآشوريين، إذ كان لكل منهما إله قومي الطابع، أفردوه بالعبادة والتقديس.

البابليون وإلههم القومي (مردوخ) أو "مردوك":

لم يبلغ إله من آلهة الشرق القديم مثل ما بلغه مردوك^(٤) من شيوع ونفوذ إذ أنه قد

(١) نخرساک أو نخرساج هي الآلهة الخالقة (الآلهة الخالقة) (الآلهة - الأم) وتعرف باسم نناخ أيضًا (أي السيدة المعظمة وباسم "نتو" (أي السيدة التي تلد أو السيدة (الوالدة) وقد قامت بدور هام - حسب أساطيرهم - في خلق الإنسان.

(٢) راجع حول ذلك في كتاب صمويل كريمير: من ألواح سومر ص ١٨٣-١٨٤.

(٣) راجع حول ذلك موسكاتي: الحضارات السامية ص ١٧١، طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين ص ٤ مجلة سومر.

(٤) معنى مردوخ بالسومرية "عجل إله الشمس" وينطق أيضًا "ماردوكو" و"مارتو كو" بمعنى ابن الإله وكان له زوجة هي الإلهة صربانيتم ومعناها "الفضية" وينادونها في الطقوس "يا سيدي" كما ينادونه "يا سيدي".

ارتبط مصيره بمصير مدينة بابل^(١)، فكان في أول أمره إلهًا محليًا وعبادته محصورة في تلك المدينة^(٢) وظل الشعب البابلي يقدم عبادته وولاءه لآلهة السومريين القديمة ولكن ما أن تفوقت بابل سياسيًا، وسيطرت على البلاد، حتى تبوأ مردوخ المقام الأول بين الآلهة، وحل محل الإله إنليل كبير الآلهة السومرية^(٣).

وأخذ أهل الرافدين يبجلونه هو وزوجته، حتى عندما فتح ملوك آشور أرض بابل، أبدوا ولاءهم لآلهتها، وفي مقدمتها مردوك وزوجه.

وفي عصر الدولة البابلية الأخيرة بلغ مردوك وزوجه ذروة مجدهما، وبعد أن فتح كورش الفارسي بابل بقيت لمردوك وابنه مكائتها بل ظلا موضع الإجلال بعد ذلك أيام السلوقيين سواء في الحياة الخاصة أو الاحتفالات الرسمية^(٤).

هذا وقد شغل البابليون بتمجيد إلههم القومي هذا منذ بداية الألف الثاني ق.م وساعدهم الكهنة في ذلك، إذ أعادوا صياغة قصة الخلق السومرية حتى جعلوه هو الخالق الأول^(٥) واستمرت عبادته حتى تحدث عنه أرميا عندما سقطت بابل^(٦).

الآشوريون وإلههم القومي "أشور":

اتسمت الحضارة الآشورية بالتفوق الحربي والنفوذ العسكري، ولم يكن للدين

= راجع هوامش موسكاتي ص ٢٦٣، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٦ ص ١٤٩-١٥٢ د. فوزي رشيد: المعتقدات الدينية ضمن حضارة العراق ج ١ ص ١٦١-١٦٢.

(١) د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي ص ٢٦٠، د/ نجيب ميخائيل ج ٦ ص ١٤٩.

(٢) طه باقر: ديانة البابليين مجلة سومر ص ١٦.

(٣) ديلاهورت: بلاد ما بين النهرين ص ١٧٢، لانجر: موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٥٦، بريستيد: العصور القديمة ص ١٤٥.

(٤) د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي ص ٢٦٣، طه باقر: ديانة البابليين سومر ص ١٦.

(٥) تفاصيل ذلك عند الحديث عن تأثر اليهودية بالديانات في قصص الخلق والطوفان في الباب الثالث. وسبحان الله وتعالى عما يشركون.

(٦) أريها ٥٠: ٢/ ٤٤: ٥١، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع هوامش موسكاتي ص ٢٦٠، د/ نجيب ميخائيل ج ٦ ص ١٤٩-١٥٢.

سلطان مطلق على حكام آشور بقدر ما كان له في بابل، إذ كان يتم تكييفه وتعديله بما يوافق حاجات الملوك وأذواقهم، وبما يلائم عبقرية الشعب الحربية^(١).

ومع ذلك - ولشدة انشغالهم بالفتوحات والحروب - فقد تبنا ديانة بلاد الرافدين وثقافتهم بوجه عام^(٢)، ولم يضيفوا إليها شيئاً، وإنما تلقوها بقبول شديد، وكان لهم دور كبير في حفظها وصيانتها^(٣).

وبالرغم من أنهم كانوا يقدسون جميع آلهة بلاد الرافدين تقريباً^(٤) إلا أنهم ظلوا متمسكين بإله قبيلتهم القديم آشور^(٥) وجعلوه إلههم القومي، وأحلوه محل الإله البابلي مردوخ فاغتصب الاختصاصات التي كان مردوخ قد سلبها من انليل كبير الآلهة السومرية^(٦).

وهكذا استطعنا التعرف إلى حد ما على ديانات بلاد الرافدين، وإذا كنت قد حاولت - بصعوبة كبيرة وفي إيجاز شديد - أن أبرز الملامح الرئيسية لهذه الديانات، فإن صورتها العامة ستوضح لنا أكثر من ذلك عند بيان تأثير اليهودية بها من نواحيها المختلفة وجوانبها المتعددة.

(١) راجع في ذلك ديلايورت: بلاد ما بين النهرين ص ٣٨١، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٢٧٥-٢٨٣، د/ عبد المنعم أبو بكر: العراق القديم ضمن حضارة مصر والشرق ص ٣٤٣.

(٢) أندرية بارو: بلاد آشور: نينوي وبابل ص ١٧-١٨.

(٣) راجع الفلسفة في الشرق ص ١٨١، موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٥٧.

(٤) ديلايورت: بلاد ما بين النهرين ص ٣٨٢.

طه باقر: ديانة البابليين والأشوريين سومر ص ١٩.

د/ عبد المنعم أبو بكر: العراق القديم ضمن حضارة مصر والشرق ص ٣٢٤.

(٥) آشور: بتشديد الشين أو تخفيفها هو الإله القومي للأشوريين، وكبير آلهتهم حتى نهاية إمبراطوريتهم، وكانوا ينطقون اسمه بسين مشددة (هوامش موسكاتي ص ٢٦٤، د/ ميخائيل ج ٦ ص ١٥٤-١٥٥).

(٦) ومن ذلك أنهم جعلوه هو الخالق في قصة الخلق الآشورية، ونسبوا إليه زوجة انليل وسموها بعشتار الآشورية.

راجع بريستيد: العصور القديمة ص ١٦٢، ديلايورت: بلاد ما بين النهرين ص ٣٨١-٣٨٢، هوامش موسكاتي ص ٢٦٤، د/ ميخائيل ج ٦ ص ١٥٥-١٥٧، فوزي رشيد: المعتقدات الدينية ضمن حضارة العراق ج ١ ص ١٦٣-١٦٤.

المبحث الثاني: ديانات بلاد سورية

إذا ذكرت سورية في التاريخ القديم فلا يقصد بها سورية بحدودها السياسية الحالية، وإنما تعني المنطقة التي عرفها اليونان بهذا الاسم^(١) وسماها العرب ببلاد الشام^(٢)، وأطلق عليها العهد القديم ببلاد آرام^(٣).

وتشتمل الآن على الوحدات السياسية الثلاث: الجمهورية السورية، ولبنان، وفلسطين^(٤).

وكانت سورية - بموقعها الاستراتيجي^(٥) - ملتقى مدنيات وديانات كثيرة اختلطت فيها مع الديانات والحضارات السامية القديمة، وكانت معنا استقت منه

(١) سورية كلمة يونانية منقولة محرفة عن أصل سامي قديم، ومنذ العهد اليوناني استخدم - اصطلاح سورية وظل استعماله ساريا حتى العصور الحديثة. (راجع عباس العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان ص ١٢-٢٢ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م، د/ محمد عبدالقادر محمد: الساميون في العصور القديمة ص ١٨٧ دار النهضة العربية ١٩٦٨ القاهرة د/ نجيب ميخائيل ج ٣ ص ٧.

(٢) أطلق عليها العرب اسم الشام وتعني اليسار أو الشمال بالمقابلة مع اليمين بالنسبة لأهل الحجاز (المصدر السابق ص ٧ د/ ميخائيل، د/ عبد الحميد زايد/ الشرق الخالد ص ٢٣٥.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٢.

(٤) د/ فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٥٢.

(٥) تمتد بلاد سورية من صحراء العراق شرقاً ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً، ويحدها من الشمال جبال طوروس في جنوبي الأناضول، ومن الجنوب صحراء شبه الجزيرة العربية، وبهذا الموقع كانت سورية حلقة الاتصال فيما بين القارات الثلاث الرئيسية في العالم القديم، وكان لها أهميتها التجارية والثقافية (راجع موسكاتي ص ٣٦، ٣٩، ١٢٢، د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٢٦٤ ود/ محمد عبدالقادر محمد: الساميون في العصور القديمة د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٨٧.

مدنيات البحر الأبيض المتوسط، وعلى أرضها وتحت سماءها نشأت ديانات وأساطير كان لها الأثر الأكبر على الفكر الإنساني فيما تلا ذلك من عصور^(١).

وقد سبق أن أشرت إلى أنها كانت محطاً لهجرات عدد كبير من الأقوام الساميين بل إن نصابها من هذه الهجرات كان أكثر من غيرها.

ويهمنا هنا أن نتعرض لأبرز ديانات هؤلاء الساميين، والتي ظلت قائمة حتى عاصرها اليهود واختلطوا بأصحابها.

ومن هذه الأديان:

١- ديانة الأموريين. ٢- ديانة الكنعانيين. ٣- ديانة الآراميين.

١- ديانة الأموريين:

الأموريون:

الأموريون^(٢) هم أول شعب سامي هام أقام في بلاد سورية^(٣)، إذ - أنهم يمثلون الموجة الأولى من الموجات السامية الكبرى.

وقد استقروا أيضاً في شمال البلاد، ثم أخذوا ينتشرون في مختلف أنحاء حتى صبغوها بالصبغة السامية، ولذلك فإننا لا نعرف عن أهل البلاد الأصليين - قبل قدوم الأموريين إليها - الشيء الكثير، بل إن معلوماتنا عنهم نادرة إن لم تكن

(١) د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ١٢١-١٢٢.

(٢) أول من ساهم بهذا الاسم هم جيرانهم السوماريون فكلمة أموريين غير سليمة منقولة عن الاصطلاح السومري "مارتو" ومنه الكلمة الأكديّة "أمورو" ومنه كذلك "ماري" اسم عاصمتهم، وهي تل الحيري الآن.

ومعنى الأموريين (أهل الغرب) بالنسبة للسومريين، وقد توسع البابليون فيما بعد في مدلول الاسم فصار يشمل سورية كلها وسموا البحر المتوسط "بحر أمور العظيم".

(د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٧٠، تاريخ لبنان من أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ترجمة د/ أنيس فريجة ص ٨١ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٨ ود/ نجيب مخايل: مصر والشرق ج ٣ ص ٢٨.

(٣) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٧٠.

معدومة في بعض النواحي، ولكن العنصر الغالب عليها كان من الأموريين الذين عرفوا بتأسيس دولهم قبل الكنعانيين على أية حال^(١)، فقد أسسوا في بداية الألف الثاني ق.م سلسلة من الدول في بلاد سورية وأرض الرافدين^(٢).

الديانة:

لم تختلف الديانة الأمورية غالبًا عن عبادة قوى الطبيعة عند الساميين التي كانت شائعة بين الرحل في بداية الشام وبلاد العرب.

فقد كانوا يعبدون إله قبيلتهم القديم واسمه "أمورو" أو "مارتو" وعرف لديهم بأنه إله الصيد والحرب، ثم صار كبير آلهتهم، واعتقدوا أن له زوجة تسمى "عاشرة" وتتصف بحب المسرات والنشاط^(٣).

وكان يوجد بجانب هذه الإله عدد من الآلهة التي لم تحدد صفاتها ويظهر كثير منها في عداد الآلهة الكنعانية فيما بعد.

وأهم هذه الآلهة الإله "حدد" بالأكدية "أدد" أو آدو المعروف أيضا باسم رمانو (صانع الصواعق) وهو إله الرعد والمطر والعاصفة، وكان يمثل نوعًا شائعًا من الآلهة في غربي آسيا، ويظهر عادة مع الثور والصاعقة ثم أصبح بعد ذلك البعل الأعظم، والإله الرئيسي فعرف باسم "مارتو"، ويوجد إله آخر ذو شأن اسمه "رشف" وهو إله النار الذي انتقلت عبادته إلى الأموريين من مصر، ثم الإله دجن أو "دجان" إله الخصب والطعام^(٤).

هذا وقد عرف الأموريون أيضًا عبادة الأفعى التي كانت تتصل بمعبودة لها

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص٢٧-٢٨.

(٢) موسكاتي: الحضارات السامية ص١٢٣، ٢٢٥، د/ حتى: تاريخ سورية ج١ ص٧٢ وقد سبق أن ذكرت أن البابليين القدماء تفرعوا عنهم وأسسوا دولة بابل الأولى.

(٣) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج١ ص٨٣، د/ نجيب ميخائيل ج٣ ص٢٨، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص٢٣٩.

(٤) د/ نجيب ميخائيل ج٣ ص٢٩، د/ حتى المصدر السابق.

علاقة بالقمر ويقابل اسمها "أشيرا" بالعبرية وهي عبارة عن عمود مقدس أو جذع شجرة يستعملان في بعض الطقوس الدينية^(١).

وكان هذا العمود المقدس من الطقوس البارزة التي أدخلها الأموريون في البلاد^(٢).

وبجانب ذلك فقد تأثر الأموريون كثيرًا بالديانة السومرية كما أشارت إلى ذلك مختلف المصادر^(٣).

٢- ديانة الكنعانيين الفينيقيين:

الكنعانيون الفينيقيون:

يذكر المؤرخون أن الكنعانيين الفينيقيين شديداً الصلة بالأموريين إذ ينتمي الشعبان إلى أصل سامي واحد^(٤)، ويتحدثان بلغتين متشابهتين إلى حد كبير^(٥).

ويبدو أن الكنعانيين الفينيقيين قد قدموا إلى بلاد سورية مع الأموريين^(٦) - أو في

(١) د/ حتى: المصدر السابق د: ميخائيل ج٣ ص٢٨.

(٢) حتى: تاريخ سورية ج١ ص٨٤ د/ عبد الحميد زايد / الشرق الخالد ص٢٣٩.

(٣) د/ ميخائيل ج٣ ص٢٨.

(٤) يرى المؤرخون أنه ليس هناك من فروق عرقية أساسية بين الشعبين الكنعاني والأموري، وإنما الخلاف البين بينهم ينحصر في تأثر الأموريين بحضارة وادي الرافدين، حيث استوطنوا شمالي سورية القريب منه، بينما استوطن الكنعانيون على الساحل اللبناني القريب من مصر، فكان طبيعياً أن يتأثروا بالحضارة المصرية.

(٥) د/ فيليب حتى: تاريخ لبنان ص٨١-٨٢، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص٣٠-٣١.

(٦) وقد أدى هذا التشابه إلى أن يطلق على لغة الأموريين "الكنعانية الشرقية" تمييزاً لها عن لغة الكنعانيين التي عرفت الكنعانية العربية أو الفينيقية، وذلك على أساس أن اللغتين تعدان لهجة من فروع كتلة اللغات السامية (د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص٣٠، ٣١، د/ محمد بيومي مهران دراسات في تاريخ الشرق الأدنى إسرائيل ج٨ ص٥١).

(٦) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن الموجة التي أتت بالشعب الأموري من الصحراء العربية إلى الهلال الخصيب هي الموجة ذاتها التي أتت بالشعب الكنعاني (د/ حتى: تاريخ لبنان ص٨١ د/ نجيب ميخائيل ج٣ ص٣٠، د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ص٢٧٨).

أعقابهم مباشرة^(١) - ومن ثم فهم الجماعة السامية الثانية التي لعبت دورًا رئيسيًا في تاريخ البلاد^(٢).

ولا يعرف على وجه اليقين متى دخل الكنعانيون إلى بلاد سورية، ومن المرجح أن هجرتهم قد تمت في أوائل الألف الثالث ق.م.

والسؤال الذي يتبادل إلى الذهن هو: هل هناك فرق بين الكنعانيين والفينيقيين أو -أنهما شعب واحد؟

والحقيقة أن المؤرخين يرون أن الكنعانيين والفينيقيين شعب واحد، ويرجعان إلى أصل سامي واحد، لكن غلبت التسمية الأولى على سكان الداخل وأطلقت التسمية على أهل الساحل^(٣).

وجاءت التفرقة بينهما في التسمية متأخرة عن طريق اليونان - إذ أن الفينيقيين أنفسهم كانوا يتسمون أولاً بالكنعانيين، كما كان اليهود يسمون الفينيقيين كنعانيين بسائر فروعهم وأنسابهم^(٤) - فقد حدث أن اليونانيين اتصلوا بالكنعانيين الذين أقاموا على الساحل اللبناني وأطلقوا عليهم اسم الفينيقيين^(٥).

ومنذ ذلك الحين (١٢٠٠ ق.م) صارت كلمة فينيقيا مرادفة لكلمة (كنعان) وأصبحتا تعنيان على الأغلب شيئاً واحداً، فلقد وردت كلمة كناعي في اللغة

(١) يذكر كونتنتو أن موجة الكنعانيين جاءت عقب موجة الأموريين فالكنعانيون يمثلون الموجة السامية الثانية (ج. كونتنتو: الحضارة الفينيقية ص ٣٩٩ ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة نشر إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم القاهرة من سلسلة المراجع الجامعية.

(٢) راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٣٠ الطبعة الثالثة، د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق ج ٨ ص ٥١٤.

(٣) د/ ثروت أنيس الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين... بنو إسرائيل ص ١٢٦ دار الكاتب العربي للطبع والنشر القاهرة، الماضي الحي ص ١٠٣، موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٧٢.

(٤) د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٨٥، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٢٤٢.

(٥) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص ٥٦، عباس العقاد: الثقافة العربية ص ٢٢، واسم فينيقية مشتق من الكلمات اليونانية (فونيكس) بمعنى اللون الأحمر. (راجع كونتنتو: الحضارة الفينيقية ص ٣٩١-٣٩٢).

الحورية وتعني اللون الأحمر وتقابلها في الأكديّة كلمة كناخي وهي في الفينيقية كنيح وفي العبرية كنعان، - لكنها مسميات تعني الحمرة الأرجوانية^(١).

وبذلك فقد اتفقت التسمية السامية القديمة^(٢) (كنعان) والتسمية اليونانية (فينيقيا) في أن تربط الكنعانيين والفينيقيين باللون الأحمر، وبناء على ذلك فإن الكنعانيين هم الفينيقيون.

الديانة:

كانت الديانة الكنعانية الفينيقية - التي لم تكن تختلف جوهرًا عن سائر الديانات السامية^(٣) ديانة تؤله قوى الطبيعة وتعبدتها^(٤)، ومن أجل ذلك فإنها قد ارتكزت أصلاً على مظاهر الخصب والإخصاب المتعلقة بمظاهر الطبيعة^(٥).

(١) أطلق اليونانيون على سكان المدن السواحلية على شاطئ البحر المتوسط بما فيهم - الفينيقيون اسم (فونيكس) بمعنى اللون الأحمر لأنهم قد تخصصوا في صناعة نوع من الصبغة الأرجوانية كانت تستخرج من حيوانات بحرية تكثر قرب شواطئها، ومن هنا جاءت نسبتها إلى اللون الأحمر. (راجع د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج١ ص٨٦-٨٧، موجز تاريخ الشرق الأدنى ص٧٧، تاريخ لبنان ص٨٢، كونتنو: الحضارة الفينيقية ص٣٩١-٣٩٢، د/ محمد عبدالقادر محمد: الساميون في العصور القديمة ص١٩١).

(٢) من المؤرخين من يرى أن كلمة كنعان مشتقة من أصل سامي (خنغ - قنع - كنع) إشارة إلى الصفة، ومنها مجازاً "الأرض المنخفضة" على عكس مرتفعات لبنان فسمي هؤلاء الساميون بالكنعانيين أي سكان المنخفض (د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج٨، إسرائيل ص٥٢٠).

ويعتقد اليهود أن الكنعانيين يرجعون إلى كنعان بن حام بن نوح (تكوين ١٠: ٦، أخبار أول ١: ٨). وفي الفصل الثاني من هذا الباب سأحدث عن الكنعانيين في نظر اليهود عند بيان الصلات - التاريخية بينهم.

(٣) يذكر العلماء أن الكنعانيين قد استعاروا من عبادات جيرانهم وطقوسهم في بابل ومصر وأعارواهم أيضاً، وهنا يتجلى الطابع المركب التوفيقي الذي تتسم به حضارتهم (راجع موسكاتي ص١٢٨، ١٣٠، ١٣١)، كونتنو: الحضارة الفينيقية ص١٠٧. د/ حتى: تاريخ سورية ج١ ص١٢٥.

(٤) د/ حتى: تاريخ لبنان ص١٦١، موجز تاريخ الشرق الأدنى ص٨٧.

(٥) كونتنو: الحضارة الفينيقية ص١١٠، د/ نجيب ميخائيل ج٣ ص٦٤، أنيس فريجة ملاحم وأساطير من أوعاربت (رأس الشمر) ص٩٠ لبنان ١٩٦٦ م.

ومن ثم يمكن رد الآلهة التي عبدها الكنعانيون إلى مبدأين مقدسين هما التذكير والتأنيث، أو الإله الكبير والإلهة الكبيرة، وأمثالهما معروفة في كل آسيا الغربية^(١).

ويذكر موسكاتي أن الآلهة الكنعانية كانت ذات طابع غير محدد أو ثابت فكثيرًا ما تتبادل صفاتها، ووظائفها، وصلاتها، بل وجنسها أيضًا، حتى ليصعب أحيانًا أن نعرف حقيقة صفتها وصلاتها بعضها ببعض^(٢).

ولكن بعد العثور على نصوص أوغاريت^(٣) حديثًا تبين أن هناك مجموعًا للآلهة الكنعانية الفينيقية.

وكان على رأس هذا المجموع رب يدعى "ال" وليس هذا الاسم علمًا في الأصل، ولكنه اسم سامي عام معناه "إله" وقد استعملته شعوب كثيرة علمًا على الإله الأكبر^(٤)، وكان هذا الإله يعتبر أبًا للآلهة جميعًا، إذ كان يجلس على عرش الآلهة

(١) المبدآن كانا يعبدان في جميع أنحاء تلك الأقاليم في آسيا العربية مع اختلاف يسير في الشكل، فتارة يتخذ مبدأ التأنيث شكل إلهة شأنها التكاثر مثل عشتار البابلية أو تتخذ مبدأ التأنيث شكل الحية شأنها الإخصاب مثل اترجاتيس السورية والإلهة الكبيرة بآسيا الصغيرة. وأما الذكر فيتمثل عادة في صورة رجل ناضج ذي لحية يمسك في يده بصاعقة ويتخذ من الثور لازمة حيوانية... (راجع كونتنو: الحضارة الفينيقية ص ١٢٨. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٦٤.

(٢) الحضارات السامية القديمة ص ١٢٧.

(٣) تم العثور مصادفة على بلاطة في رأس الشمر شمال مدينة اللاذقية، وأدى ذلك إلى حفريات أسفرت عن اكتشاف مدينة أو غاريت بما فيها من نصوص كنعانية، وقد أدى اكتشاف هذه النصوص إلى مزيد من المعلومات عن ديانة الكنعانيين ومدى علاقتها بالديانة اليهودية. (راجع تاريخ لبنان: د/ حتى ص ١٥٣-١٥٤، د/ أنيس فريجة ملاحم وأساطير من أوغاريت (راس الشمر) ص ٢٠-٢٦، ٨٨-٩٣. موسكاتي: الحضارات السامية ص ١١٦-١١٨.

(٤) كان هذا الإله يلقب بألقاب مختلفة واعتقد الكنعانيون أنه يسكن عند منبع النهرين ووسط مجاري المحيطين أي في أطراف العالم بعيدًا عن الآلهة والبشر، وتصوروا له زوجة تسمى "أثرت" وتلقب في نصوص أوغاريت بلقب السيدة، كما أن زوجها (ال) خالق الخلق فهي خالقة الآلهة وكان يتم =

ويرأس المجمع المقدس^(١).

ويأتي بعد (ال) الإله بعل^(٢)، وكان أيضًا من أبرز الآلهة الكنعانية وقد كان له ألقاب يعرف بها منها الظافر، والمنتصر، أو الشجاع في الحرب^(٣) وله زوجة تسمى عشيرة^(٤).

وكان من أخطر خصوم بعل ومنافسيه إله البحر والمياه والمتمردة "يم"^(٥) ومن الآلهة الثانوية كان يوجد الإله أشمون والإله "موت" والإله رشف والآلهة عنات^(٦).

هذا وقد قدس الكنعانيون الأشجار والجبال والمياه، وأنشأوا لألهتهم الهياكل، وقدموا لهم القرابين فوق المرتفعات والأماكن العالية، واشتهروا بكثير من الطقوس والعادات التي تسربت إلى اليهود.

= التقرب إليها لتتدخل في التأثير على زوجها (موسكاتي ص ١٢٧، هوامش موسكاتي د/ سيد بكر ص ٢٧٢-٢٧٣، د/ أنيس فريجة: ملاحم وأساطير من أوغاريت ص ٤١-٤٣ موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٧٣.

(١) ملاحم وأساطير من أوغاريت ص ٤١.

(٢) كلمة بعل اسم عام في الأصل معناه "سيد" ولهذا أمكن إطلاقه على آلهة مختلفة، وقد جرى بعض العلماء على اعتبار بعل إلهًا معينًا وهذا خلط يحسن أن يزول فإن اللفظ يطلق على الآلهة بوجه عام، فيما عدا إطلاقه في نصوص رأس شمر على الإله الأكبر بعل فيقال ما عدا هذا الاستثناء بعل هذا الإقليم أو ذاك، إذ لكل إقليم أو مدينة بعلها (أي سيدها) أو إلهها الخاص مثل بعل صور وبعل صيدا.

راجع كونتنو: الحضارة الفينيقية ص ١٠٤، ١١٩-١٢٠.

ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ص ٣١٥، الماضي الحي ص ١٠٧، موسكاتي ص ١٢٨.

(٣) ملاحم وأساطير من أوغاريت ص ٤٧.

(٤) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٦٣.

(٥) وكان هذا الإله يلقب بقاضي النهر إذ أن الكنعانيين كانوا قد تخيلوا نهرا يحيط بأقاصي المعمورة، وعنده ينتهي العالم العلوي ل يبدأ العالم السفلي وعنده تؤدي كل نفس حسابها قبل دخول عالم الأموات وبما أن سيد العالم السفلي هو "يم" فكان على كل إنسان أن يؤدي حسابه له فهو قاضي الأموات عند النهر، ملاحم وأساطير ص ٥٣.

(٦) المصدر السابق ص ٤٠-٤١، كونتنو ص ١٠٨، تاريخ لبنان ص ١٦٤.

الأراميون:

يشكل الأراميون^(١) الموجة الثالثة^(٢) من موجات الساميين إلى بلاد سورية^(٣) وكانوا في بداية أمرهم مجموعات من قبائل البدو والرحل أطلق عليهم أسماء مختلفة^(٤).

وقد اختلف في تحديد موطنهم الأصلي^(٥) ولكن المرجح أنهم - كغيرهم من الساميين نزحوا من الجزيرة العربية^(٦).

ويؤكد المرخون العرب أن القبائل الآرامية ترجع إلى الأصل العربي فهي والعرب البائدة أو العاربة من أصل واحد، ولذا كانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعاً إلى أرم ويسمونهم بالأرمان^(٧).

(١) تسمية آرام معناها سكان البلاد المرتفعة أو العالية، وورد في قاموس الكتاب المقدس أن لفظ آرام في الأكادية "أرامو" وأن الإراميين يرجعون في نسلهم إلى آرام بن سام بن نوح (تكوين ١٠: ٢٢، ٢٣، أخبار أول ١: ١٧)، وقيل إن هناك صلة بين الأراميين وبين كلمة "إرم ذات العماد" الواردة في القرآن الكريم (سورة الفجر). وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن أصل الاسم "أرام" مشتق من كلمة أن ع أم ون أي - مخلوقات أو كما فسرهُ أحد العلماء بأنه اسم أو لقب آله ولكن (كريلنج) يرجع اسم آرام إلى اسم لشعب وليس لمنطقة (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر ج ١ ص ٤٩١، د/ بولس عياد: الأراميون في مصر ص ٨ مطبعة دار العالم العربي القاهرة ١٩٧٥ م.

(٢) بعد الأموريين والكنعانيين.

(٣) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٣١-٣٢، د/ عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى ص ٢٨٢.

(٤) وقد أطلق عليهم اسم "السوق والحوثي والإخلامو أو الأخلاموا الأراميين (د/ بولس عياد: الأراميون في مصر ص ٧، د/ نجيب ميخائيل ج ٣ ص ٣١).

(٥) د/ بولس عياد: المرجع السابق ص ٧ ويرجح أن موطنهم الأصلي هو الصحراء السورية العربية.

(٦) راجع د/ محمد مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى ج ٨، إسرائيل ص ٥٢٢.

(٧) عباس العقاد: الثقافة العربية ص ١٤-٢٠، راجع د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٧٣-٧٤.

وفيما يتعلق بمعرفة بداية ظهورهم في المصادر التاريخية، فقد ثبت الآن أن الآراميين يرجعون إلى أزمنة موعلة في القدم^(١) ومهما يكن من أمر فإن الآراميين لم يبلغوا أقصى أهميتهم السياسية في تاريخ الشرق الأدنى إلا في القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م حيث أسسوا عددا من الدويلات في سورية وأرض الرافدين، وكان أعظمها دولة دمشق^(٢).

الديانة:

يبدو أن الآراميين لم يكن لهم ديانة خاصة أو حضارة مستقلة وإنما تأثروا - بحضارات وديانات البلاد المحيطة بهم، فقد كتب عليهم أن يكونوا أداة استيعاب ونقل، - واشتهروا كتجار ووسطاء في نقل الحضارات.

وقد تجلى هذا الطابع البارز في مظاهر حضارتهم - تجلى قبل كل شيء في دينهم فهو نتاج الأثر الذي أحدثته في تراثهم القومي تأثيرات قوية من الحضارات والديانات المجاورة وكما يقول موسكاتي فالدين الآرامي كان يتبع الخطوط العامة للفكر الديني السامي، ويمثل نباتا مركبا ركبت في جذعه المحلي فروع مشتقة من الحضارات المجاورة في أرض الرافدين وآسيا الصغرى وكنعان^(٣).

ومع ذلك فقد اشتهر عنهم أنهم كانوا يعبدون إلهًا - وإن كان مستعارًا من الأموريين والكنعانيين - إلا أنه صار خاصًا بهم وكان الإله الرئيسي في

(١) كان الاعتقاد السائد من قبل أن نقوشا آشورية ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م تحتوي على أقدم إشارة إلى الآراميين ولكن ثبت الآن أن الآراميين يرجعون إلى أزمنة موعلة في القدم فقد عثر على نقش يرجع إلى القرن الثالث والعشرين ق.م يشير إلى إقليم يدعى آرام (موسكاتي ص ١٧٦-١٧٧، د/ أحمد فخلي: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ١٠٢، د/ محمد عبدالقادر محمد: الساميون في العصور القديمة ص ٢٠٠-٢٠١ د/ محمد مهران ج ٨ ص ٥٢٥.

(٢) د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق ص ٨٢، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج ١ ص ٤٩٤، د/ نجيب ميخائيل ج ٣ ص ٣١٣.

(٣) الحضارات السامية القديمة ١٨٣- ١٨٤ راجع معه أيضًا د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٨٨، الشرق واليونان القديمة ص ٢٦٤.

ديانتهم وأهم المعبودات لديهم^(١) هذا الإله هو "هدد" ويمثل لديهم رمز الإخصاب والمنفعة^(٢).

وكانت له معابد كثيرة - منتشرة في البلاد ولكن معبده الرئيسي كان في مدينة هيرابوليس^(٣).

ولأن هدد اشتهر بعد ذلك بأنه إله السماء قبل كل شيء - في نظر الآراميين - دخل دين اليونان والرومان على أنه إله الشمس فاعتبروه نظير زيوس وجوبيتر^(٤).

(١) راجع موسكاتي ص ١٨٣، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق ص ١٠٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٤٤٢.

(٢) الإله هدد أو "حدد" وهو نظير الإله أدد عند البابليين والآشوريين وكان في الأصل إله العاصفة، يتجلى في البرق والرياح والمطر السخي ثم اشتهر بأنه إله الأمطار وما يصاحبها من زوابع وروعود وبروق، وهو نافع حين يرسل الماء الذي يغيد الزراعة وهو مهلك أن أرسله سيولاً جارفة، ومن هنا جاء لقبه "رمون" أو "رمان" أي المرعد مثير العواصف، وقد صورته الآراميون في تماثيلهم ممسكا بالبرق في إحدى يديه وبالفأس في يده الأخرى، كما يظهر أيضًا واقفًا على ظهر ثور رمزًا للإخصاب والقوى المولدة، راجع موسكاتي ص ١٨٣، هوامش موسكاتي ص ٣٤٧-٣٤٦، د/ نجيب ميخائيل ج ٣ ص ٤٤٢-٤٤٣ ولعل اسم الإله هدد مشتق من مادة هدد التي تدل في العربية على الهدم الشديد والكسر والصوت المدوي ومن مشتقاتها الهادة أي الرعد، انظر كوك ص ١٦٤ نقلا عن هوامش موسكاتي ص ٣٤٧.

(٣) ذكرت هذه المدينة في المصادر العربية باسم فييح فرقميش، وسميت بهذا الاسم في العصور اليونانية، وكان هدد يعبد أيضًا في سمأل وحلب، ومن دراسة الآثار السورية نعرف أن الإله "هدد" كان المعبود الأكبر في منطقة حلب وقد اشتهرت - عبادته منذ منتصف الألف الثاني ق.م، وكان يقصد هذا المعبد جميع سكان المناطق المجاورة التماسًا للمشورة.

وكذلك كان يعبد في مدينة دمشق حيث اتخذ ثلاثة من ملوكها اسمًا مشتقًا من اسمه (بر هدد) ابن هدد، وكان هؤلاء الملوك من الذين اتصلوا بمملكتي اليهود في القرنين العاشر والتاسع ق.م والحديث عنهم بالتفصيل في الفصل الثاني.

(راجع موسكاتي ص ١٨٣-١٨٤، هوامش موسكاتي ص ٣٤٧-٣٤٨، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق ص ١٠٥-١٠٦، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٣٦٨-٣٧٠.

(٤) زيوس هو إله اليونان وجوبيتر هو إله الرومان وسأحدث عنهما قريبًا، وقد انتقل هدد إلى اليونان والرومان واعتبروه نظيرًا لهما، وهذا يفسر إطلاق اسم هليوبوليس "مدينة الشمس" على مدينة بعلبك التي كانت مركزًا كبيرًا لعبادة هدد في وادي البقاع (الذي يفصل جبال لبنان عن جبال لبنان الداخلية)، هذا وقد انتشرت عبادة الإله هدد بعد إطلاق اسم جوبيتر عليه في كافة أنحاء العالم الروماني (موسكاتي ص ١٨٤، هوامش موسكاتي ص ٣٤٨، د/ نجيب ميخائيل ج ٣ ص ٤٤٣، الشرق الخالد ص ٣٧٠.

وكان للإله هدد زوجة تسمى أترجاتيس وهي تمثل الأمومة وتصور لابسة تاجًا وبصحبته أسد في بعض الأحيان وتجمع في رمزها بين الهلال وقرص الشمس، وكانت تعبد مع هدد في معبده الرئيسي وإن انتشرت عبادتهما معًا في جميع أنحاء سورية^(١).

وكان هناك إلى جانب "هدد" وزوجته "أترجاتيس" آلهة آخرون أقل شأنًا، استعارهم الآراميون أيضًا من الشعوب المجاورة واعترفوا بهم، وقد كان للآلهة الكنعانية المكان البارز بينهم، بجانب آلهة وادي الرافدين^(٢).

وليس لدينا سوى إشارات قليلة يمكن اتخاذها أساسًا للحكم على أشكال الطقوس، ويبدو أنها كانت شبيهة بأشكال الطقوس لدى الكنعانيين أيضًا^(٣).

(١) الاسم اترجاتيس مكون من كلمتين هما أترأى عشت وجاتيس أي الآلهة الكنعانية القديمة (عنت) وهذا الاسم المركب يدل على اندماج الآلهتين السماويتين الكبيرتين، بعضهما في بعض، وكان الأسد والحمامة الحيوانين المقدسين للإلهة اترجاتيس، كما كان الثور الحيوان المقدس لزوجها هدد، وقد انتشرت عبادتهما مع زوجها في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

(موسكاتي ص ١٨٤، هوامش موسكاتي ص ٣٤٩). د/ فخري: دراسات في تاريخ الشرق ص ١٠٦. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٤٤٣. د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٣٦٨.

(٢) راجع موسكاتي ص ١٨٤، أندرية إيبهار: الشرق واليونان القديمة ص ٢٦٤.

جورج رو: العراق القديم ص ٣٧١. د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق ص ١٠٦. د/ نجيب ميخائيل: ج ٣ ص ٤٤٣. هوامش موسكاتي ص ٣٤٩-٣٥٢.

(٣) موسكاتي: ص ١٨٤.

المبحث الثالث: ديانة مصر القديمة

تقسيم تاريخ مصر:

كانت كلمة مصر تعني في اللغات السامية "الحد" وعرفها الآشوريون باسم "مصر" والآراميون باسم "مصرين" والعبرانيون باسم "مصريم"^(١) والعرب باسم مصر.

وأطلقت هذه الشعوب السامية على أهلها اسم المصريين، أما المصريون القدماء فقد عرفوا مصر تحت اسم "كمت" أو "كيمه" أي الأرض السوداء أو السمراء^(٢)، مفرقين بذلك بينها وبين الصحراوات، وكثيراً ما عبروا عنها باسم "تاوى" أي الأرضين: أرض الدلتا وأرض الصعيد^(٣).

وقد اصطلاح المؤرخون على تقسيم مراحل التاريخ المصري القديم إلى إحدى وثلاثين أسرة متبعين في ذلك تقسيماً قدمه المؤرخ المصري مانيتون^(٤)، ويسمى هذا

(١) يذكر سفر التكوين أن مصرياً هذا ابن حام بن نوح (تكوين ١٠: ٦).

(٢) إشارة إلى سمرة تربتها الطينية وخصوبتها.

(٣) وأما كلمة Egypt فهي أصلاً Egyptey وهي كلمة سمعها اليونان في مصر محرفة من نطق آشوري للفظ مصري قديم هو "حت كبتاح" كان يطلق على معبد الآله بتاح أكبر معبودات المصريين في منف ثم أطلقه المصريون على المدينة نفسها ثم على القطر نفسه، كما يطلق اسم مصر اليوم على البلاد كلها، وعلى العاصمة وحدها كذلك، وقيل أنه تحرف في أصله عن آجيه المصري بمعنى أرض الفيضان. (راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول ص ١-٣ الطبعة الثانية ١٩٥٧ الإسكندرية، راجع أيضاً د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم الجزء الأول، مصر والعراق ص ٣٥).

(٤) مانيتون أو مانيتو كان سمنودي عاش في القرن الثالث ق.م (راجع مرجعيت مري: مصر ومجدها الغابر ترجمة محرم كمال سلسلة الألف كتباً (١٠٠) ١٩٥٧ لجنة البيان العربي).

بتقسيم الأسرات، ووافقه على هذا التقسيم كل من خلفه من المؤرخين حتى المحدثين منهم^(١).

وإذا كان هناك من يوجه النقد إلى هذا التقسيم^(٢) إلا أنه صالح بوجه عام، واصبح متأصلاً في الدراسات كلها، ولا يوجد تقسيم آخر أصلح منه^(٣) ويحتوي هذا التقسيم على تلك العصور:

١- عصر ما قبل التاريخ.

٢- عصر بداية الأسرات^(٤) (أو العصر العتيق) حوالي ٣٢٠٠-٢٧٨٠ ق.م. ويشمل الأسرتين الأولى والثانية).

٣- عصر الدولة القديمة: (٢٧٨٠-٢٢٨٠ ق.م) (من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة).

٤- عصر الفترة الأولى أو (الاضمحلال الأول) (٢٢٨٠-٢٠٥٢ ق.م) (من الأسرة السابعة إلى الأسرة العاشرة).

٥- عصر الدولة الوسطى (٢٠٥٢-١٧٧٨ ق.م) (الأسرتان ١١، ١٢).

٦- عصر الفترة الثانية أو (الاضمحلال الثاني) (١٧٧٨-١٥٧٠ ق.م) (من الأسرة ١٣ إلى الأسرة ١٧).

٧- عصر الدولة الحديثة (١٥٧٠-١٠٨٥ ق.م) (من الأسرة ١٨ إلى الأسرة ٢٠).

(١) بريستيد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ص٧ ترجمة د/ حسن كمال الطبعة الأولى وزارة المعارف العمومية ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م.

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول ص٣٤.

(٣) د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية ص٦٢ ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣.

(٤) هناك اختلاف بين علماء الدراسات المصرية القديمة في تحديد بدء الأسرة الأولى، على أن أحدث الآراء تميل إلى ما أخذت به (راجع الماضي الحي ص٤٥-٤٦) (د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية ص٤٨).

٨- العصر المتأخر (١٠٨٥-٣٣٢ ق.م) (من الأسرة ٢١ إلى ٣١)^(١).

ويضاف إلى هذه العصور: الإسكندر الأكبر ٣٣٢ ق.م - العصر البطلمي ٣٣٢ - ٣٠ ق.م - العصر الرومان ٣٠-٣٩٥ م - العصر البيزنطي ٣٩٥-٦٣٨ م الفتح الإسلامي ٦٤٠ م.

الديانة:

يقول ول ديورانت "لقد كان الدين في مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه، فنحن نراه فيها في كل مرحلة من مراحلها^(٢)، وفي كل شكل من أشكاله، ومن الطوطم^(٣) إلى علم اللاهوت، ونرى أثره في الأدب، وفي نظام الحكم وفي الفن وفي كل شيء"^(٤).

فلم تكن هناك قوة في حياة الإنسان القديم عامة - وفي مصر خاصة - يسيطر

(١) اعتمدت في نقل هذا التقسيم على المصادر الآتية: بريستيد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى العصر الفارسي ص١٢-١٣، مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر ص٤١، د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية ص١٧-٣، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول ص٣٤-٣٥، د/ عبدالعزيز صالح مصر والعراق ص٣٥-٣٧. ولا شك أن إثبات هذا التقسيم هنا يفيدنا في التعرف على تحديد الفترات التي تم فيها الاتصال بين اليهود وبين المصريين خاصة وأن الصلة قديمة بين مصر وبين العبريين منذ عصر سيدنا إبراهيم الخليل إلى عصر المسيح عليها السلام.

(٢) في كلامه إشارة إلى مذهب التطور في الأديان، وهو مذهب مرفوض في التصور الإسلامي، إلا أنني أميل إلى إمكان تطبيقه على الديانات الوضعية على أساس أنها من فكر الإنسان ونتيجة لرأي البشر، ولا شك أن أفكار وآراء البشرية خاضعة لسنة التطور.

(٣) تطلق كلمة "توتم" أو طوطم التي تنسب إليها العقيدة "التوتمية" أو الطوطمية على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة ما رمزاً لها، ولقباً لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية، وتنزله وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس، ويقصد من التوتم الحيواني أو النباتي الفصيلة العامة التي ينتمي إليها الحيوان أو النبات لا فرد معين أو أفراد معينون من أفراد التواتم الحيوانية أكثر عددًا وأوسع انتشارًا من التواتم النباتية. (راجع د/ علي عبدالواحد وافي كتاب الطوطمية أشهر الديانات البدائية ص٨٧، ١٣-١٤ دار المعارف سلسلة أقرأ ٩٤ فبراير ١٩٥٩ وكتابه غرائب النظام والتقاليد والعادات ص١٩، ٣٤ نهضة مصر القاهرة ١٩٨٤ م.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ ج٢ ص١٥٥ (وقد ذكر المؤرخون أن المصريين القدماء كانوا من أشد الأمم تدينًا، وأكثرهم ورعًا واهتمامًا بالدين - حتى ولو كان فاسدًا) راجع هيرودت في مصر ص٤٧ في القرن الخامس ق.م نقله من اليونانية وهيب كامل ملتزم - الطبع والنشر دار المعارف بمصر.

أثرها على نشاطه - فيما يرى برستد - كما يسيطر الدين، ذلك لأن الدين كان منفذاً للخيالات، ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة بالإنسان، والحياة لا تتأثر بالدين فحسب، بل تختلط وتمتزج به امتزاجاً يتأثر بالانطباعات الخارجية^(١).

ولسنا نجد في بلد من البلاد - إذا استثنينا بلاد الرومان والهند، ما نجده في مصر القديمة من الآلهة الكثيرة^(٢)، فعندما يتصل المرء لأول مرة بعالم الآلهة فيها، فإنه يقع في شيء من الحيرة أمام هذه الوفرة من المعبودات المختلفة التي تتخذ أشكالاً متنوعة، ويدور في خلد المرء تجاه مثل هذا الخليط المتراكم من الأوصاف والنعوت والعشارات المميزة في حدود متفاوتة أن يفكر في ديانات مصرية متعددة لا ديانة واحدة^(٣).

فقد أخذت الديانة المصرية حين نشأتها، وفي مراحل طويلة بتعدد المعبودات^(٤)، شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية القديمة.

ولكنها ظلت أغنى من غيرها في وفرة نصوصها، ووضوح قضايها، وثباتها على مبادئها^(٥) إذ كان المصريون يعبدون آلهة لا عدد لها، فكان لكل منطقة - منهما كانت صغيرة على طول نهر النيل إله أو أكثر، ولقد دونت أسماء ما يربو الألفين من هذه

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى الجزء الرابع ص ١٤٩.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ١٥٦.

(٣) فرانسود وماس: آلهة مصر ص ١٧ (ترجمة زكي سوسن سلسلة الألف كتاب الثاني برقم ١٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦) ويذكر فيليبحتى أن الديانة المصرية لم تكن ديانة واحدة، بل كانت تضم ديانات مختلفة، ففي سياق تطورها اقتبست بعض العناصر الدينية البدائية إلى جانب عناصر على جانب كبير من الرقي الفكري (موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٦٠ راجع معه حول هذا الشأن د/ نجيب ميخائيل ج ٤ ص ١٥٠-١٥١).

(٤) لقد رد المصريون الأوائل كل ظاهرة حسية تأثرت بها دنياهم إلى قدرة علوية أو علة خفية ترحكها وتتحكم فيها، وتستحق التقديس من أجلها الأمر الذي أفضى إلى تعدد ما قدسوه من العلل والقوى الربانية المتكلفة بالرياح والأمطار وظواهر السماء، وبرجيان النيل وتعاقب الفيضانات وتجد خصوبة الأرض ونمو النبات، وخصائص الخصب النوعي، (د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ٣٢٩، د/ محمد جابر عبدالعال: في العقائد والأديان ص ٦٦).

(٥) د/ عبدالعزيز صالح: المصدر السابق.

الآلهة البدائية^(١) ومن ثم فإن علماء المصريات حاولوا أن يقسموا تلك الآلة إلى أنواع^(٢) حتى يتيسر للدارسين فهمها.

ولعل أفضل تقسيم ما انتهى إليه بول ماسون - أورسيل إذ يذكر أنه من الوجهة التاريخية كان هناك نوعان من الآلهة: المعبودات المحلية كالحيوانات والأشجار والجبال، والآلهة الكونيون كالسما والأرض والكواكب والنيل، ولهذا التقسيم أهميته الاجتماعية وصبغته الطبيعية^(٣).

ولعل أهم ما يعيننا أن نشير إليه في هذا الفصل من تلك المعبودات المصرية ما يسمى بالمعبودات الحيوانية، أو الحيوانات المقدسة، إذ كان هذا النوع من الآلهة أكثر ذيوغاً بين المصريين من أي آلهة أخرى بل كانت الآلهة الحيوانية من الكثرة بحيث غصت بها هياكل كأنها معرض حيوانات صاخبة^(٤).

ويذكر هيرودوت أن المصريين قد قدسوا كل الحيوانات التي كانت عندهم، سواء منها الحيوانات المستأنسة وغير المستأنسة^(٥).

(١) د/ إيفار ليسنر: الماضي الحي ص ٦٨.

(٢) منهم من ذكر أن هناك آلهة رسمية أو الدين الرسمي وهناك العقائد الشعبية ومنهم من قال هناك آلهة رئيسية وآلهة ثانوية وهناك من قسمها إلى سبعة أقسام إلخ هذه التقسيمات الموجودة راجع على سبيل المثال د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية دار المعارف بدون تاريخ ص ١٢ وما بعدها، د/ رشيد الناصوري: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ص ٦٦-٧٢، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٤ ص ١٥٠-١٥١.

(٣) الفلسفة في الشرق ص ٥١ وما بعدها.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ١٥٨.

(٥) هيرودوت في مصر (في القرن الخامس ق.م) ص ٦٥ ويذكر أدولف أرمان أن المصريين قد عبدوا في هذه المقاطعة أو تلك وفي هذا الوقت أو ذاك: العجل والتماسح والصقر والبقرة والأوزة والعنزة والكبش والقط والكلب والدجاجة والخطاف وابن آوى والأفعى، وتركوا بعض هذه الدواب تجوس خلال الهياكل ولها من الحرية ما للبقرة المقدسة في الهند حتى هذه الأيام (ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة) "ص ٩ ترجمة د/ عبدالمعزم أبو بكر، د/ محمد أنور شكرى ملتزم بالطبع والنشر مصطفى الحلبي بمصر بدون تاريخ راجع أيضًا قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ١٥٨، راجع أيضًا فيليب فاند نبرغ: لعنة الفراعنة ترجمة خالد اسعد، أحمد غسان دار قتيبة دمشق الطبعة الأولى ١٠٢هـ - ١٩٨٢م ص ١٧٩.

وقد بالغ المصريون في تقديسهم للآلهة الحيوانية، وتوسعوا في عبادتها وأضافوا عليها كثيرًا من الأهمية والخطورة^(١).

واستمر هذا التقديس - الذي بدأ منذ عصر الدولة القديمة - حتى العصر الروماني فقد لاحظ المؤرخون أن عبادة الحيوان كانت سائدة في مختلف العصور التاريخية^(٢)، وأن - الديانة المصرية كانت تتميز بها خاصة في أيام انحلالها، وأن هذه العبادة قد ازداد في العصور اليوناني - الروماني - حتى كاد القطر كله أن يكون مستبعدًا لجيش من القبط والكلاب والتماسيح والثعابين والعقارب والجعلان المقدسة^(٣).

ومن بين هذه الآلهة الحيوانية احتلت عبادة الثور أو "عجل أبيس"^(٤) أهمية خاصة ومكانة خطيرة في الديانة المصرية القديمة.

(١) هناك مظاهر كثيرة تصور هذا التقديس وعلى سبيل المثال: أن كل من كان يقتل حيوانًا مقدسًا حتى في حالة الدفاع عن النفس يعتبر مذنبًا بانتهاك حرمة المقدسات التي كانت عقوبتها الموت، وإذا كان من الواجب والضروري ذبح حيوان فكانت تقدم عليه القرابين السخية أولاً فقد اعتقد المصريون بإعادة التجسد للحيوانات (التقمص) أي قدرتها على الرجوع بشكل آخر بعد الموت، وخافوا من انتقام الحيوانات الأخرى للحيوان المتوفى وكان المصريون يوقفون على كل نوع من الحيوانات المقدسة أرضًا تكفي غلتها للعناية بها وتغذيتها ويذكر المؤرخون أن كثيرًا من الحيوانات الصغيرة كان تحفظ في منازل - خاصة وتعتبر كآلة وتحفظ في أقفاص تشبه الكنائس الخاصة وتقدم لها الهدايا والتقادير الأخرى، والأعجب من ذلك كما يروي هيرودوت أنه قد شب حريق ذات مرة فتنحي المصريون جانبًا وأهملوا إطفاء الحريق، ووجهوا كل اهتمامهم إلى إنقاذ القبط، ويذكر أن موت بعض الحيوانات كالقبط والكلاب كان يعقبه في مصر حداد شامل وألم عميق. راجع هيرودوت في مصر ص ٦٦، فيليب فاندبرغ: لعنة الفراعنة ص ١٧٩-١٨٠، د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية ص ٢٦٠-٢٦١، د/ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص ٧١ الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو القاهرة بدون تاريخ.

(٢) هناك من يذكر أن الآلهة المصرية القديمة بدأت على شكل حيوانات وكان لكل جماعة معبودها وحارسها (حبيب سعيد: أديان العالم ص ٣٢ صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٧٧ م).

(٣) راجع أدولف أرمان: ديانة مصرية القديمة ص ١٧١-١٧٣، ٤٦-٤٧، ص ٣٦٠-٤٠٣، ٤٠٤.

(٤) اعتقد المصريون أن عجل أبيس ينشأ من شعاع من السماء، وأنه اسود وأن على جبهته غرة مربعة، وعلى ظهره صورة نسر، وغير ذلك من الشيات، وكان إذا وجد أبيس جديدًا - احتفلت مصر جمعاء به في ملابس العيد، وبالأيام البهيجة. (أرمان: ديانة مصر القديمة ص ٣٧١) راجع د/ رؤوف شلبي: آلهة في الأسواق ص ٢٧٤.

إذ ترجع عبادته إلى عصور موعلة في القدم "حيث تشهد بعض النقوش على وجودها منذ الأسرة الأولى (حوالي ٣٠٠٠ ق.م)^(١)، وقد استمرت هذه العبادة على مدى العصور التاريخية المختلفة، بل إنه كان أشهر المعبودات الحيوانية وخاصة في عصر الدولة الحديثة والعصر المتأخر.

ويذكر أدولف أرمان إنه كان يحتفل كل عام بعيد ميلاده سبعة أيام، وإذا مات لبست عليه النساء ثياب الحداد، "ولا يدخل أفواههن شيء غير الماء والخضر" سبعين يومًا حتى يتم دفنه، وكان المصريون يحجون إلى قبره، ويقام له شاهد يكتب عليه ما شاق من تاريخ حياة هذا العجل، وكان دفنه يقتن بـكل أنواع الترف والبذخ، فالدولة نفسها كانت تعني بذلك^(٢).

هذا وقد اختلف المستمرون في تعليل عبادة الحيوانات لدى المصريين وبيان الأسباب التي حملتهم على هذا النوع من العبادة.

فذهب بعضهم إلى أن هذه العبادة كانت نوعًا من الطوطمية^(٣).

وذهب البعض الآخر إلى أن المصريين لم يقدسوا حيوانًا لذاته وإنما اتخذوا تلك العبادة رمزًا للآلهة الخفية التي كانوا يقدسونها^(٤).

(١) د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية ص٢٤٦.

(٢) ديانة مصر القديمة ص٣٦٠-٣٦٢ ويصف أدولف أرمان القواعد الوافية لمدفن أبيس في العصر الأغريقي فيذكر أن خمسة من الكهنة كان يعهد إليهم بأداء هذه القواعد، فيقومون بلف أعضائه باللفاف، وبحشو بعضها كالرأس والفم والعينين والأنف، ويغطون القرنين ويمدون الساقين، ويغسلون تجويف بطنه، ثم يقومون بحشوه أيضًا، وكانت تلي ذلك الشعائر الجنائزية الحقيقية: فكانت الجثة توضع على نعشها في داخل التابوت، بينما تنوح النائحات، وكان يستغرق هذا سبعين يومًا كانت فترة حداد وصيام لمصر قاطبة.

ديانة مصر القديمة ص٤٢٨-٤٢٩.

راجع أيضًا د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية ص٢٤٦.

(٣) راجع لعنة الفراعنة ص١٨٠، الفلسفة في الشرق ص٢٧.

(٤) د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص٣٣٠.

ويرى فريق ثالث أن المصريين قد اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد هذه الحيوانات^(١).

أما المؤرخون القدماء من اليونان والرومان فقد اتفقوا جميعًا على أن سبب تقديس المصريين للحيوانات أمر خفي لا يجوز التصريح به من شخص يحترم الآلهة^(٢).

ومهما يكن من الأمر، ومهما قيل من الدفاع عن ذلك النوع العجيب من العبادة فإن عبادة الحيوانات بوجه عام وعبادة العجل بوجه خاص كانت من أشهر العبادات الوثنية لدى المصريين القدماء، ولسوف يتضح لنا أهمية هذه العبادة للبحث حينما أبين كيفية تأثر اليهود بها في الباب الثالث إن شاء الله.

(١) د/ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص ٣١-٣٢، راجع أيضًا الشيخ محمد أبو زهرة - محاضرات في مقارنة الأديان القسم الأول: الديانات القديمة ص ١٥ دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ.

(٢) منهم هيرودوت الذي يقول: "ولو أنني ذكرت الأسباب التي قدست من أجلها الحيوانات لاستطردت في حديثي إلى الشئون الدينية، وهو أمر أتحاشى بوجه خاص الخوض فيه، ويقول ديودورا الصقلي إن الكهنة المصريين لديهم في تقديس الحيوانات أسباب خفية ولهم حولها آراء سرية. راجع هيرودوت في مصر ص ٦٥، د/ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص ٣٣، د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية ص ٢٦٠-٢٦٨.

المبحث الرابع: ديانات الفرس واليونان والرومان

بجانب الديانات الرئيسة التي تحدثت عنها كانت توجد ثلاث ديانات أخرى، وهي وإن لم تبلغ أهمية وخطورة الديانات السابقة في التأثير على اليهودية إلا أنها عاصرت اليهود في بعض مراحلهم التاريخية، واحتك اليهود بأصحابها احتكاكاً مباشراً هذه الديانات الثلاث هي:

١- ديانة الفرس. ٢- ديانة اليونان. ٣- ديانة الرومان.

وأبدأ الحديث بـ:

١- ديانة الفرس

كلمة عن الفرس:

يرجع الفرس إلى الجنس الآري^(١)، وهم يمثلون الموجة الثانية من الموجات الهند وأوربية^(٢) التي نزحت إلى الشرق القديم، ولعل تسميتهم بالفرس راجعة إلى أن

(١) الآري: اسم أطلقته على نفسها مجموعة الشعوب الضاربة بقرب شواطئ بحر قزوين أو التي كان أصلها ممن يضربون بالقرب من هذه الشواطئ، أما اليوم فإن هذا اللفظ يطلق بنوع خاص على الميثانيين والحيثيين والميديين - والفرس والهنود الفدا - أي على الشعبة الشرقية من الشعوب الهندوأوربية التي عمرت شعبتها الغربية بلاد أوربا (قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٠١).

(٢) أطلق الباحثون في العصر الحديث اسم "الشعوب الهندوأوربية" على عدة شعوب كان موطنها الأصلي في السهول الجنوبية من الاتحاد السوفيتي (شرقي بحر قزوين) ثم هاجرت حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م إلى منطقة الشرق القديم، هاجر فرع إلى آسيا الصغرى فكونوا دولة الحيثيين وهاجر فرع آخر إلى أعمال الفرات فكونوا الحوريين الذين أسسوا - مملكة ميتاني، وسار أكثرهم إلى بلاد الهند فأسسوا هناك عدة ممالك، وهاجر فرع رابع إلى بلاد إيران القديمة فكونوا الشعب الإيراني ثم =

ملوكهم قد أقاموا في مقاطعة بارس بأرض إيران القديمة، فأطلق عليها اليونان بارسا أو برسيس وعرفها العرب بفارس^(١)، وسمى هذا الشعب الآري أو الإيراني بالفرس أو - الفارسيين.

وقد سكن بلاد الفرس القديمة^(٢) عدة أقوام إيرانيين^(٣)، ولا يعنينا منهم هنا سوى الإشارة إلى الفرس الأخمينيين، الذين أسسوا تحت زعامة ملكهم قورش أو "كورش" الأعظم (٥٥٨-٥٣٠ ق.م) أكبر إمبراطوريات الشرق الأدنى القديم^(٤)،

= انقسم هذا الشعب إلى الميديين - وإلى الفرس (راجع دي بوج: تراث العالم القديم ج١ ص٥٢، برستيد: العصور القديمة ص١٩٠-١٩٢، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص٢٠٠-٢١٤، هذا وقد استعمل هذا الاسم (الهند وأوربية) كبديل عن الجنس الثالث - المذكور في التوراة إذ تذكر أن الشعوب الثلاثة الكبيرة هم: الساميون نسبة إلى سام، والهاميون نسبة إلى حام، واليافثيون نسبة إلى يافث أولاد نوح عليه السلام (كوننتو: الحضارة الفينيقية ص٣٨٥).

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى - القديم ج٦ ص٣٨١، ويذكر أن مقاطعة فارس لم تكن سوى إقليم مفرد في الإمبراطورية الإيرانية القديمة. ولكنها لما كانت موطن البيت الأخميني الحاكم فإنها قد حظيت من المجد والفخار حتى اشتمل على الإمبراطورية قاطبة.

(٢) لم تكن بلاد الفرس القديمة بعينها المعروفة لنا الآن والتي يسميها أهلها بلاد إيران - بل كانت هي الإقليم الأصغر المصاحب للخليج الفارسي مباشرة من جهة الشرق المعروفة لدى الفرس الأقدمين باسم بارس والفرس المحدثين باسم فارس أو فارستان وهي عبارة عن هضبة تتوسط بين منطقة الأحراش في أواسط سيبا وبين سهول غربي آسيا (راجع قصة الحضارة مجلد ١ ج٢ ص٤٠٩. د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق ص١٨٩) د/ نجيب ميخائيل ج٦ ص٤٠٤.

(٣) من هذه الأقوام الإيرانية القديمة: الكيمريون والإسكنديون والميديون. (راجع ج. ب. جرندي: الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم بإشراف ونشر جون ١٠. هامرتون ترجمة عبدالفتاح صدقي، وقام بنشر تاريخ العالم وترجمته إلى العربية في سبع مجلدات إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية الطبعة الثانية دون تاريخ مكتبة النهضة المصرية القاهرة. راجع أيضاً د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص٢١٠-٢١٤.

(٤) ظهر بين الفرس في منتصف القرن السابق ق.م أسرة مالكة أسسها "هاخانيش" ومنه تحدرت السلالة الأخمينية الحاكمة، فجاء من بعد قمروش الأول (٦٤٠-٦٠٠ ق.م ثم قمبيز الأول الذي أنجب قورش الثاني المقلب بقورش الأكبر أو الأعظم (٥٥٨-٥٣٠) وهو يعتبر المؤسس الحقيقي ليرة الأخمينية (أسرة الملوك العظام) التي حكمت بلاد الفرس في أزهى أيامها وأعظمها شهرة، نظم جيشاً قوياً لا يقهر، ثم ضم إلى الدولة الفارسية كل البلاد التي كانت تحت سلطان الإمبراطوريات السابقة (أشور وبابل وليديا) وبلاد آسيا الصغرى حتى أصبحت الإمبراطورية أوسع المنظمات السياسية في العالم القديم قبل الدولة الرومانية.

وعاش اليهود ظلالهم، فترة من الزمان بدأت من عام ٥٣٩ ق.م وانتهت عام ٣٣١ ق.م فبعد موت كورش الأكبر تولى ابنه قمبيز الثاني (٥٣٠-٥٢٢) ق.م ثم جاء بعده الملك دارا الأول (٥٢٢-٤٨٦) ق.م الذي بلغت الإمبراطورية الأخمينية في عهده أوج عظمتها ومجدها.

ثم خلف من بعده ملوك^(١) لم يكونوا على نفس الدرجة من القوة، فأخذت الإمبراطورية الضعف، حتى قضى عليها الإسكندر الأكبر، وبدأ عصر الإمبراطورية اليونانية وكان ذلك في عام ٣٣١ ق.م^(٢).

الديانة:

كانت ديانة الفرس القدماء في العصور السابقة على ظهور الأخمينيين - وقبل أن يصبحوا قوة عالمية - واحدة من ديانات الهند و- أوريبيين الوثنية التي تقوم على العبادات المتعددة، فكان القدماء من الإيرانيين يقدسون مظاهر الطبيعة المختلفة، وتأمروهم ديانتهم القديمة بعبادة العناصر الأربعة: النار ممثلة في كوكبيها العظميين وهما الشمس والقمر، ثم الهواء والماء، والتراب، واتخذوا كلا من هذه العناصر آلهة لهم، يقدمون لها القرابين والأضاحي^(٣).

= وسيكون لقورش الأكبر هذا ولدولته دور كبير في حياة اليهود كما سنرى في الفصل الثاني: راجع قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٤٠٣-٤٠٤، دي بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ٤٣. د/ أحمد خري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ج ١ ص ٤٣. د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٤١٢-٢١٦، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ١ ص ٥٧٣، د/ عبدالحamid زايد: الشرق الخالد ص ٥٥٩-٥٦٠).

(١) هؤلاء الملوك هم: اخشويرش الأول - (٤٨٦-٤٦٥ ق.م) ارتخششتا الأول (٤٦٥-٤٢٤) اخشويرش الثاني (٤٢٤) ق.م دار الثاني (٤٢٤-٤٠٤ ق.م) ارتخششتا الثاني (٤٠٤-٣٥٩ ق.م) ارتخششتا الثالث (٣٥٩-٣٣٨ ق.م) دارا الثالث (٣٣٨-٣٣١ ق.م).

(٢) راجع ج.ب. جرندي: الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم المجلد الثاني من تاريخ العالم ص ٥٤٧-٤٦٣، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٢١٦-٢٢٥، د/ عبدالحamid زايد: الشرق الخالد ص ٦٠٨-٦٤١.

(٣) راجع الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم ص ٤٤١-٤٤٢ راجع أيضًا ج. هـ. إيليف: فارس والعلام القديم ترجمة محمد صقر خفاجة ص ٣٦ ضمن كتاب تراث فارس اشترك في كتابته وأشرف على نشره أزج. إيريري راجع ترجمته د/ مجي الخشاب: دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٩، راجع أيضًا د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٢٣٠، د/ نجيب ميخائيل ج ٦ ص ٤٣٢-٤٣٣.

ولم تمنعهم عبادة العناصر الأربعة من أن يتخذوا آلهة أخرى لكل منها اختصاص محدد مثل "اناهتيا" آلهة الماء والخصوبة التي صورت بأشكال عدة، ومثل "هوما" الثور - المقدس الذي مات وبعث حيًا ووهب الجنس البشري دمه شرابًا ليسبغ عليه نعمة الخلود، وكانوا يعبدونه بشرب عصير الـ "هوما" المسكر^(١).

واستمرت الديانة الفارسية القديمة على هذا الشكل حتى ظهر زردشت^(٢)، فعندما ظهر أخذ يهاجمها وثار على آلهتها حتى استبدلها بدين جديد، وقد اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في ما إذا كان هذا الدين الجديد يقوم على التوحيد أم على الوثنية^(٣).

ومهما يكن من أمر فالقائلون بالرأي الأول وبأن زردشت كان موحدًا، قد اعترفوا بأن الزردشتية قد تحولت بعده إلى وثنية، وانقلب هذا التوحيد المزعوم إلى شرك وتعدد. إذ أن أثر الديانة القديمة كان لا يزال قائمًا بين الشعب الفارسي ولهذا فإنه لم يمض وقت طويل حتى أخذت بعض العناصر الوثنية القديمة تظهر في ديانة

(١) وهي عشب ينمو على سفوح جبالهم (راجع قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٤٢٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء السادس الكتاب الثاني حضارة فارس ص ٤٣٣).

(٢) لقد أطلق الفرس على زردشت اسم "زرثوسترا" وسماه اليونانيون زروسترز، ومسألة وجوده موضع جدل بين الباحثين، وحتى الذين يسلمون بوجوده يختلفون في زمن ظهوره لكن الرأي السائد هو أنه ولد في القرن السابق ق.م وتوفي في القرن السادس ق.م، وقد أحيطت حياته منذ مولده إلى مماته بهالة من الأساطير والخرافات. (راجع حول ذلك بالتفصيل في: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٢٤٢-٤٢٥، تراث العالم القديم ج ١ ص ٥٤، أ.و.ف. توملين: فلاسفة الشرق ترجمة عبدالحamid سليم ص ١٤٥-١٤٨ دار المعارف بمصر ١٩٨٠، حامد عبدالقادر: زرداشت الحكيم ص ٢٤-٢٧ مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٦، راجع أيضًا لنفس المؤلف (حامد عبدالقادر) قصة الأدب الفارسي الجزء الأول ص ٣٦ نهضة مصر ١٩٥١).

(٣) ليس هناك رأي قاطع في تحديد ديانة زردشت بين التوحيد والوثنية، فالنصوص التي وردت عنه تحتل الأمرين معًا، إذ يذكر في موضع أن أهورامزدا هو الذي خلق النور والظلمة معًا، وفي موضع آخر يذكر أن العالم يحكمه إلهان: إله الخير وإله الشر. راجع الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٧ مكتبة مصطفى الحلبي تحقيق محمد سيد كيلاني ١٩٧٦ م. د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ صمر القديم ص ٢٣٠. د/ بركات عبدالقادر دويدار: الوجدانية مع دراسة في الأديان والفرق ص ٥٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧ م. حامد عبدالفتاح: زارادشت الحكيم ص ٧٩-٨٦ قصة الأدب الفارسي ج ١ ص ٣٠-٣٦. وراجع أيضًا الحديث عن الزردشتية في الفصل الخاص بالتأثير المجوسي من كتابي غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ٥٥٩، ٥٦١.

زردشت في شكل أو آخر^(١) فوجد مثلاً منذ عهد "ارتخششتا الثاني (٤٠٤-٣٩٥ ق.م) أن إله الشمس "متر" يظهر إلى جانب "أهورامزدا" إله زردشت كإله للعدل والإخلاص، ويظل تقديسه شائعاً ومستمراً بين الإيرانيين بعد زردشت بمدة طويلة^(٢).

٢- ديانة اليونان

الشعب اليوناني

ينقسم الشعب اليوناني أو الإغريقي القديم إلى أربع قبائل وهي: الدوريون، والأوليون، والآخائيون، والأونيون.

وبالرغم من اختلاف هذه القبائل في لهجاتها وفي الكثير من عاداتها إلا أنها ترجع إلى أصل واحد، وتجمع بينها لغة واحدة وعادات وعقائد متشابهة.

وقد أدركت جميعها هذه الروابط بعد احتكاكها بالشعوب الأخرى، فعرفت أنها أمة واحدة، واتخذت لنفسها اسم "الهلنيين" بينما أطلقت على كافة الأقوام الأخرى اسم "برابرة"^(٣).

(١) جاء في دائرة المعارف البريطانية "لقد أتى زرادشت بدين جديد، وليس معنى ذلك أن كل ما أتى به من ابتكاراته الخاصة، وأنه لم يتأثر بما سبقه من العقائد الوثنية الإيرانية القديمة، فالحق أن العقيدة أساساً في الديانة القومية الآرية أو الإيرانية القديمة. نقلاً عن زرادشت الحكيم: حامد عبدالقادر ص ٢١.

(٢) راجع قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٤٣٦ فلاسفة الشرق ص ١٦٢-١٦٣، الفرس - وإمبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم ص ٤٤٣، د/ فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٢٣١. والآلهة مَثَرًا من الآلهة الإيرانية القديمة، وكان أصلاً من أتباع "أهورامزدا" ثم امتزج بالشمس كلية واقترن بها، وقد ورد في بعض أسفار الأَبَسْتاق - كتاب زرادشت - المقدس - أن مَثَرًا هو الحارس للمراعي اليقظ. د/ نجيب ميخائيسل: مصر والشرق والجزء السادس الكتاب الثاني حضارة فارس ص ٤٣٣ حامد عبدالقادر: زرادشت الحكيم ص ٢٠.

(٣) هناك أسطورة يونانية تذكر أن اليونانيين ينتسبون إلى "هيللين" ابن "دوقليون" ثم كان هيللين ولدان هما (دوروس) (أثولوي) وحفيدان هما (إيون) و(أخيئوس) ومن هؤلاء تنحدر القبائل اليونانية الأربع المذكورة (راجع ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ الكتاب الرابع ص ٣٢٧-٣٢٨، راجع أيضاً: استانلي كاسون: اليونان قبيل بلوغ أوج عظمتها ترجمة عبدالحافظ معوض ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم ص ٣٣٠-٣٣٢ د/ محمد كامل عياد: تاريخ اليونان ج ١ ص ٨٦ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م دمشق).

ولم تكن هذه القبائل من سكان شبه جزيرة اليونان الأصليين، وإنما هاجروا إليها، وإلى شواطئ آسيا الصغرى، وانتشروا في جزر بحر إيجة، عن طريق البلقان في موجات متعددة استمرت طوال الألف الثاني ق.م^(١).

واشتهر بين مدن اليونان القديمة مدينتا أسبرطة وأثينا، واتصل اليونانيون بالأمم الشرقية القديمة المجاورة، واقتبسوا الكثير من حضارتهم، حتى كان غزو الإسكندر الأكبر للشرق القديم، وقضاؤه على الإمبراطورية الفارسية عام ٣٣١ ق.م^(٢).

الديانة:

تقوم الديانة اليونانية القديمة - كما تبدى لنا في العصور التاريخية - على تعدد الآلهة^(٣)، فقد عبد اليونانيون حشدًا كبيرًا من الآلهة يشق على الإنسان

(١) لا يعرف بالتأكيد الموطن الأصلي الذي هاجرت منه القبائل اليونانية ولم يحدد بالضبط التاريخ الذي تمت فيه هذه الهجرة ولكن ساد بين المؤرخين أن اليونانيين من الأقوام الهندية الأوروبية - وأنهم هاجروا إلى بلاد اليونان طوال الألف الثاني ق.م (راجع ويلز: موجز تاريخ العالم ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨، معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك ٤ ص ٣٢٧، تاريخ اليونان ج ١ ص ٨٥ د/ محمد كامل عياد.

راجع أيضًا برتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الأول الفلسفة القديمة ترجمة زكي نجيب محمود الطبعة الثالثة ص ٢٩، ١٩٧٨ م.

(٢) من هذه الأمم الشرقية التي اتصل بها اليونانيون وتأثروا بحضارتها: مصر والفينيقيون والبابليون وغيرهم، راجع العصر اليوناني المتأخر تأليف جون هامرتون ترجمة الأستاذ فؤاد أندراوس ص ١٢-١٣ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم وقد كتب ز، رومين بارترسون دراسة عن الإسكندر الأكبر بوصفه بطلا من أبطال العالم فتحدث عن نشأته وخلقته وثقافته وعبقريته السياسية والحربية ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم ص ٣١-٦٠ - ترجمة عبدالفتاح صدقي.

وقد عاش اليهود تحت الحكم اليوناني في حياة الإسكندر ومن بعده عاشوا تحت حكم البطالمة والسلوقيين وتفصيل ذلك في قنوات الاتصال التاريخية.

(٣) ه.ج. روز: الديانة اليونانية القديمة ترجمة رمزي عبده جرجس الناشر دار نهضة مصر القاهرة ١٩٦٥ ص ١٩-٢١، فوستيل دي كولانج: المدينة العتيقة دراسة لعبادة الإغريق والرومان ترجمة عباس بيومي بك ص ١٦٢-١٦٤ طبع ونشر النهضة المصرية القاهرة بدون تاريخ. ه.د. كيتو: الإغريق ترجمة عبدالرازق يسري ص ٢٥٦-٢٥٧ دار الفكر العربي ١٩٦٢ ويذكر أن تعدد الآلهة كان ديانة طبيعية زادها تعقيدًا تعدد تجزئة الجنس الإغريقي واندماج أنواع مختلفة من الديانات في جهات متعددة من بلاد الإغريق ص ٢٦٢ ويقول روز إن العناصر المختلفة من الديانات في جهات متعددة =

ذكر أسماؤها جميعاً، ولكن أمكن تقسيمها تقسيماً مصطنعاً إلى سبع مجموعات:

آلهة السماء، وآلهة الأرض وآلهة الخصب، والآلهة الحيوانية، وآلهة ما تحت الأرض، وآلهة الأسلاف والأبطال، والآلهة الأوليمبية^(١).

وإن كان هناك من يقسم هذه الكثرة من الآلهة إلى طبقتين رئيسيتين فقط هما: الآلهة الأوليمبية وموطنها الحقيقي هو السماء، والآلهة الأرضية وهم سكان الأرض^(٢).

بيد أن أضخم مجموعة من المعبودات اليونانية وأدومها كانت تلك المجموعة المعروفة باسم "الآلهة الإثني عشر" الذين كانوا يعبدون سوياً في أغلب الأحيان وهؤلاء هم: زيوس، وبوسيدون، وأبولو، وأريس، وهيفا يستون، وهيرميس، ثم هيرا، وآثينا، وأرتمس، وأفروديتي، وديمتر، وهستيا^(٣).

وكما لاحظنا فإنه يقف على رأس هذه الآلهة الإثني عشر - بل على رأس النظام الإلهي اليوناني كله - ما تصوره اليونانيون أنه رب الأرباب وهو "زيوس العظيم"^(٤).

= في بلاد الإغريق ص ٢٦٢ ويقول روز إن العناصر المختلفة التي تألف منها الشعب اليوناني قد أسهمت بعوامل مختلفة في تكوين الكل المعقد للديانة اليونانية (الديانة اليونانية القديمة ص ١٤). ويذهب تيودور جيانا كوليس إلى أن تعدد الآلهة في الديانة اليونانية كان محاولة - لتنظيم الطبيعة التي كانت تبدو قائمة على الفوضى - في تصورهم طبعاً - ولوضع طريقة كاملة معقولة تفسر الصلة بين القوى الطبيعية بعضه والبعض الآخر وتوضح مدى أهميتها (اليونان شعبها وأرضها ص ٨١ ترجمة محمد أمين رستم مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣).

(١) قصة الحضارة (٦) الجزء الأول من المجلد الثاني: حياة اليونان ص ٣٢١-٣٢٨ - ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢) روز: الديانة اليونانية القديمة ص ١٤.

(٣) المصدر السابق ص ٨٢.

(٤) (العظيم في نظرهم طبعاً) وتروى أساطير اليونانيين عن زيوس هذا أنه أعلن الحرب على أبيه الملك وانتزع منه حكم العالم، وعند ذلك أخذ هو وإخوته يقسمون العالم ويوزعونه فيما بينهم، فانتخب زيوس إله القبة الزرقاء وحكم الأرض والسماء وأصبح بوسايدون - ربا للبحار، وهيدنير لعالم الموتى. (راجع قصة الحضارة (٦) الجزء الأول من المجلد الثاني ص ٣٢٨-٣٢٩، لويس ر، فارنل: ديانة اليونانيين ترجمة دريني خشبة ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم ص ٧٠٠، ٧٠٦، ٧٠٧، تيودور جيانا كوليس: اليونان شعبها وأرضها ص ٨٥).

إذ كان في تصورهم طبعًا - يجلس على عرش من ذهب، وإلى جانبه زوجته هيرا، ومن حولهما الآلهة العشرة الآخرون^(١).

هذا وقد صور اليونانيون ألهتهم بهيئات بشرية وحسبوا ذات صفات إنسانية صالحة وردية، فهم في نظرهم يأكلون ويشربون، ويتناسلون وينامون، ويمشون في الأسواق، ويشغلون حيزًا من الفراغ، وتمر بهم الأزمنة وتتتابهم الأمراض، ويرتكبون الجرائم، ويقترفون أقبح الآثام، ويستسلمون لأغلب الشهوات، ويتزوج ذكورهم بإناتهم، وقد يتصل ذكورهم بإنات البشر، وإناتهم بذكور الآدميين^(٢).

ومن أجل ذلك كانت الديانة اليونانية القديمة شديدة الصلة بمجريات الحياة اليومية، فلم تكن الآلهة أسيرة هياكلها، أو سماواتها أو ممالكها السفلى، بل كانت تحيا في الطرقات، وفي بيوت الناس، وتعيش معهم في منازلهم وفي حقولهم^(٣).

وجدير بالذكر أن الآلهة اليونانية القديمة كانت تشتمل على آلهة أجنبية استعارها اليونانيون من الأمم والدول التي استعمروها مثل آلهة المصريين والفينيقيين - والبابليين والآراميين^(٤).

(١) كانت عبادة هيرا تقوم على أسس كونها "عذراء" و"زوجة" و"أرملة" إذ أنها كانت آلهة للنساء، وجميع النسوة يندرجن تحت فئة من تلك الفئات الثلاث (روز: الديانة اليونانية ص٧٤، راجع تيودور: (اليونان شعبها وأرضها ص٨٢).

(٢) برستيد: العصور القديمة ص٢٩٩، لويس/ فارنل: ديانة اليونانيين ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم ص٧٠. روز: الديانة اليونانية القديمة ص٧٤، عباس محمود العقاد: الله ص١٠٦، د/ علي عبدالواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ص١١ دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩م، غرائب النظم والعادات والتقاليد ص٣٥-٣٦ نهضة مصر ١٩٨٤م.

(٣) روز: الديانة اليونانية القديمة ص١١-١٣. وقد كان يوضع في كل منزل مدفأة توقد فيها النار المقدسة، وكانت كل أسرة تختار عددًا من الآلهة، وتحفظ بها لنفسها باعتبارهم حماة لها، وتسمى هذه الآلهة بالآلهة المنزلية.

روز: الديانة اليونانية ص١١، فوستيل دي كولانج: المدينة العتيقة ص١٦٣ وراجع في نفس المصدر الفصل الخاص بالديانة المنزلية ص٤٠-٤٧.

(٤) راجع ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك٤ ص٣٣٢ عباس العقاد: الله ص١٠٥-١٠٦.

يبدأ تاريخ الرومان - على أرجح الآراء - في عام ٧٥٣ ق.م حيث أسس رومولوس مدينة روما على تل البلاتين في إيطاليا القديمة^(١) وكان يسكن إيطاليا في ذلك الوقت عدد من الشعوب ينتمون إلى أصول مختلفة^(٢).

ويقسم المؤرخون التاريخ الروماني عادة إلى ثلاثة أقسام وهي:

(أ) عهد الملوك:

ويبدأ هذا العهد بتأسيس مدينة روما (٧٥٣ ق.م).

وينتهي بطرد آخر ملك من ملوكهم عام (٥١٠ ق.م).

(ب) عهد الجمهورية: ويبدأ من عام ٥٠٩ ق.م إلى ٢٧ ق.م.

(ج) عهد الإمبراطورية: ويبدأ من عام ٢٧ ق.م إلى عصر ظهور الإسلام^(٣).

وقد توسع الرومان في عهدي الجمهورية والإمبراطورية توسعاً شاملاً، وازداد نفوذهم ازدياداً كبيراً، حتى خضعت لهم بلاد اليونان، وسيطروا على إمبراطوريات

(١) دونالد. و. دولي: حضارة روما: ترجمة جميل يواقيم الذهبي وفاروق فريد ص٢٣، ١٨ دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٩م، ويلز: موجز تاريخ العالم ص١٣٤، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ الكتاب الخامس ص٥٠٥، ٥٠٩. وكان تأسيس المدينة يعني تجمعاً دينياً وسياسياً بين الأسرات، والقبائل، وقيل إن رومولس هذا كان رئيساً لعصابة من المغامرين فجمعهم وبدأ ببناء بضعة أكواخ، (راجع بالنفصيل قصة بناء مدينة روما ص١٧٦ : ١٨٧ من كتاب المدينة العتيقة فوستيل دي كولانج) وكان الرومان يحتفلون بعيد تأسيس هذه المدينة وقاموا بعبادة مؤسسها بما عرف لديهم بعبادة المؤسس (راجع المدينة العتيقة) ص١٨٨-١٩٣.

(٢) دونالد. ر. دولي: حضارة روما ص١٦-١٧، هز ستورات جونز: روما وأسباب عظمتها فيما بعد ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم ص٢٢٣ ترجمة عثمان نوية.

(٣) راجع ر. هـ. بارو: الرومان ص٢٠ وما بعدها ترجمة عبدالرازق يسري سلسلة الألف كتاب (٦١٢) دار نهضة مصر ١٩٦٨، ف.م هيلر: مجمل تاريخ العالم ص١١٥-١١٩ ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة دار اليقظة العربية للتأليف والرجمة والنشر بدون تاريخ، ويلز: موجز تاريخ العالم ص١٣٥.

الشرق القديم بما فيها بلاد سورية وعاش اليهود تحت نفوذهم فترة من الزمان، بدأت من عام ٦٣ ق.م، وانتهت عام ٧٠ ق.م بدمير أورشليم، وتشتيت اليهود وهو ما يسمى بالشتات الأخير، وبدأ - عهد التشرّد والضياع^(١).

الديانة:

قامت الديانة الرومانية - شأنها في ذلك شأن سائر الديانات الوثنية القديمة - على تعدد الآلهة.

فقد عبد الرومان آلهة كثيرة، وبلغت في كثرتها إلى الحد الذي جعل ول ديورانت يقول "إننا لا نعرف قط دينا يبلغ فيه عدد الآلهة ما بلغه عند الرومان، فقد قدرت بثلاثين ألفاً، بل إن بعض المدن الإيطالية القديمة كان فيها من الآلهة أكثر ممن فيها من الرجال"^(٢).

وكان هناك نوعان من الآلهة: آلهة الدولة أو الآلهة القومية الرسمية، وآلهة الأفراد أو الآلهة الشعبية^(٣).

وكان أحب الآلهة القومية إلى قلوب الشعب الروماني، وأعظمها وأفضلها لديه هو الإله جوبيتر^(٤)، الذي كان يمثل رقعة السماء المتلألئة وضياء الشمس والقمر، وقصف الرعد، والإخصاب، وكانت أبواب هيكله لا تفتح إلا في أيام الحرب، ليخرج منها مع جيوش روما لهزيمة آلهة الأعداء^(٥).

وكان هناك إلى جانب جوبيتر آلهة آخرون برزوا ضمن الآلهة الرسمية، مثل الإله مارس الذي تروى الأساطير أنه كان أباً للشعب الروماني، وكان جباراً في الحروب،

(١) تفصيل ذلك في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ترجمة محمد بدران ص ١٢٥ لجنة التأليف والرجمة والنشر والطبعة الثالثة ١٩٧٢ م.

(٣) م. ب. تشارلروث: الإمبراطورية الرومانية ترجمة رمزي عبده جرجس ص ١٦٠-١٦٣ سلسلة الألف كتاب (٣٦٠) دار الفكر العربي ١٩٦١ م.

(٤) لعل لفظ جوبيتر محرف عن ديسيا أو ديستير أي إله السماء.

(٥) ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث ص ١٢٧.

مقدماً جسوراً، يتولى حماية الجيوش الرومانية، ويحظى بالعبادة الرسمية من الفرق، والقوات الرومانية جميعها^(١).

وكان هناك عدد من الإلهات^(٢) منها: فستا إلهة نار الموقد التي لا تنطفئ ورمز حياة البيت والأسرة علماً على خلود روما، ومنيرفا إلهة كل من يعملون بعقولهم أو بأيديهم^(٣).

هذا بالإضافة إلى آلهة أجنبية استعارها الرومان من البلاد التي استعمروها، كآلهة اليونانيين والمصريين والفينيقيين والآراميين وغيرهم من بلاد الشرق القديم^(٤).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الرومان - في أغلب الأحيان لم يتخللوا ألهتهم في صورة بشرية كما تخيلها اليونانيون، وإنما تصوروها معنويات مجردة بالرغم من تعددها^(٥).

وإن كان هذا لا يمنع من القول بأن الرومان قد رحبوا بآلهة اليونان، وأقاموا لها الهياكل، واستهواهم ما يقدم لها من مراسم وطقوس^(٦).

(١) الإمبراطورية الرومانية ص ١٦١.

(٢) كانت إلهات روما أقل قوة من آلهتها ولكنهن كن أحب إلى قلوب الشعب من الآلهة الذكور (قصة الحضارة (٨) ص ١٢٧).

(٣) الإمبراطورية الرومانية ص ١٦١-١٦٢.

(٤) راجع برسيديد: العصور القديمة ص ٤٩٤-٤٩٥، قصة الحضارة (٩) ص ١٢٩٥-١٩٨ أندريه إيبار وجانين أبوابه: روما وإمبراطوريتها ترجمة يوسف داغر، فريد داغر ص ٢٠٠، ٤٠٠، وهو الجزء الثاني من تاريخ الحضارات العالم بإشراف موريس كروزيه منشورات عويدات لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

(٥) يبدو أنهم تصوروها في صورة أرواح تقوم على حماية الإنسان، كإله للمرض وإله الشفاء وإله النصر وإله الحظ وإله العفاف إلى غير ذلك (قصة الحضارة (٩) ص ١٤٢-١٢٥، سيريل بايلي: ديانة اللاتين ترجمة محمد بكر خليل ص ٣٨٣-٣٨٤ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم.

(٦) قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث ص ١٢٩-١٣٠ سيريل بايلي: - ديانة اللاتين ص ٤٠٢-٤٠٣ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم.

الفصل الثاني

قنوات الاتصال التاريخية بين اليهود وأصحاب الأديان الوثنية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اتصال اليهود بمصر

المبحث الثاني: اتصال اليهود بشعوب فلسطين:

أولاً: العناصر السامية:

١- الكنعانيون الفينيقيون.

٢- الأموريون.

٣- الآراميون.

٤- دول شرق الأردن:

أ- الأدوميون.

ب- المؤابيون.

ج- العمونيون.

ثانياً- العناصر غير السامية:

أ- الحيثيون.

ب- الفلسطينيين.

المبحث الثالث: اتصال اليهود بالفرس.

المبحث الأول: اتصال اليهود بمصر

تحتل مصر منزلة هامة ورقعة واسعة في تاريخ اليهود القديم على مدار مراحلها المختلفة.

فالأسفار تضع المصريين ضمن قائمة الشعوب المتفرعة من أبناء نوح عليه السلام فأرجعتهم إلي مصرائيم الابن الثاني لحام^(١).

وورد فيها أن الخليل إبراهيم قد هاجر إلي مصر ضمن هجراته المتعددة، وذكرت قصة مجئ يوسف عليه السلام إلي مصر، ثم دعوته إلي أبيه يعقوب وأسرته للإقامة بها، وقد استوطن بنو إسرائيل في مصر - فيما تزعم الأسفار - مدة أربعة قرون^(٢)، حتى كان خروجهم منها على يد النبي موسى عليه السلام.

لم تنقطع العلاقة بين مصر واليهود بعد ذلك، إذ كان هناك اتصالات ومعاهدات بين فراغة مصر وبين الإسرائيليين في عصر المملكة الموحدة والانقسام بل إن اليهود - كما سنرى من خلال أسفار العهد القديم - وكما تشير الأدلة التاريخية - كانوا كلما ضاق بهم الحال، أو حز بهم الأمر، استنجدوا بمصر أو هاجروا إليها^(٣).

(١) راجع تكوين ١٠: ٦، ١٣، أخبار الأيام الأولى ١: ٨، ١١ - ١٢، قاموس الكتاب المقدس ص ٩٠٥ (٢) تكوين ١٥: ١٣ ويذكر سفر الخروج أنها أربعمائة وثلاثون عاماً (خروج ١٢: ٤٠).

(٣) يذهب الدكتور مصطفى عبد العليم إلي أن العلاقة بين مصر واليهود بدأت منذ عهد الأسرة الخامسة (وقد سبق أن ذكرت في تواريخ الأسر المصرية أن الأسرة الخامسة تقع ضمن أسر الدولة القديمة وتؤرخ بـ ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق. م.) وهذا لا يتفق مع ما ذهب إليه المؤرخون من أن عصر إبراهيم عليه السلام يقع - على الأغلب - بين القرنين العشرين والتاسع عشر ق. م، بالإضافة إلي أن هجرته إلي مصر تم تأريخها كما سنرى في عهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٧٨ ق. م).

وتاريخ اليهود يبدأ بعصر الخليل، ولم يكن لهم وجود قبله، معنى ذلك أن علاقة اليهود بمصر ترجع إلي عهد الأسرة الثانية عشر وليس إلي عهد الأسرة الخامسة. (راجع د/ مصطفى كمال عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطالة والرومان ص ٣ الطبعة الأولى ١٩٦٨ مكتبة القاهرة الحديثة).

هذا وقد اتخذت تلك العلاقات مظاهر شتى عبر القرون الطويلة السابقة للميلاد، وتلك القرون اللاحقة له، إذ اختلفت تبعاً لاختلاف موضع فلسطين بالنسبة لمصر، والصلات التي قامت بين مصر وفلسطين من ناحية، وشعوب الشرق الأدنى من ناحية أخرى^(١).

هجرة الخليل إبراهيم إلى مصر:

يذكر سفر التكوين أن الخليل إبراهيم قد هاجر إلى مصر حينما حل القحط والجفاف بأرض كنعان "وحدث جوع في الأرض فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً"^(٢).

وكانت هجرته إليها على الأرجح المشهور إبان الأسرة الثانية عشر من ملوك الدولة الوسطي في القرن التاسع عشر ق. م^(٣).

ولم تذكر التوراة شيئاً عن المدة التي قضاها إبراهيم في مصر وإن كان هناك من يقول إنها نحو سبع سنوات تقريباً^(٤).

(١) د/ مصطفى عبد العليم: المصدر السابق ص ٣ وبين جيمس باركس مدى ارتباط الإسرائيليين من حيث قوتهم وضعفهم بمصر فيقول "إن القبائل الإسرائيلية لم تستطع أن تقيم فيما بينها وحدة سياسية لها قيمة - في أي يوم من الأيام - إلا إذا كانت قد أفلتت من قبضة كل من مصر والعراق القديم "جيمس باركس في كتابه: تاريخ الشعب اليهودي نقلاً عن مهندس أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ١٠٧ مكتبة وهبة ١٩٧٢ القاهرة.

(٢) تكوين ١٢: ١٠ سوف نتحدث عن هذه الرحلة إلى مصر بالتفصيل في بحثنا الشامل عن سيدنا إبراهيم الخليل بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم.

(٣) يؤرخ للأسرة الثانية عشرة بهذا التاريخ (١٩٩١ - ١٧٧٨ ق. م وهي الأسرة الثانية والأخيرة في عصر الدولة الوسطي (٢٠٢٥ - ١٧٧٨ ق. م) وقد أورد الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف عدداً من الشواهد التاريخية التي تبرهن على صحة ذلك (راجع في ذلك كاثرين هنري: التاريخ في الكتاب ص ١٧ وهو خلاصة كتابين ألفا باللغة الإنجليزية لخصهما حبيب سعيد وصدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر بدون تاريخ، د/ أحمد عبد الحميد يوسف: مصر في القرآن والسنة ص ٢٦ - ٢٣ سلسلة أقرأ دار المعارف بمصر ١٧٩٣، د/ محمد شفيق غربال: تكوين مصر ص ٥٢ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٧ م.

(٤) نقل ذلك الدكتور/ محمد أحمد محمود حسن وسجل في كتاب مصر والعرب وإسرائيل في الكتب المقدسة ص ٧ دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م.

لقد فصل لنا القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام، وكيف أن إخوته كادوا له واثتمروا عليه حتى يتخلصوا منه، وانتهى الأمر بأن اشتراه عزيز مصر وحدث له ما حدث من امرأة هذا العزيز، الأمر الذي أدى إلي إدخاله السجن مظلوما ثم الخروج منه بعد استدعاء الملك له، وتمكين الله له في الأرض وتوليته الوزارة في مصر، ثم حدث أن التقى بإخوته، وانتهى بهم المطاف إلي أن يستدعيهم يوسف مع أبيهم يعقوب للإقامة بمصر وقال لهم: ادخلوا مصر إن شاء الله آمين^(١).

ويعرض لنا سفر التكوين نفس أحداث القصة ولكن بكثير من الإضافات ومزيد من التفاصيل^(٢) مع إغفاله لبعض الحقائق^(٣) والوقوع في نوع من التناقض^(٤).

(١) اقرأ سورة يوسف وبخاصة الآيات (٤ - ١٠١).

(٢) راجع سفر التكوين الاصحاحات ٣٧، ٣٩، ٤٥، راجع أيضاً د/ صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم ص ٥٥٠ وما بعدها ترجمة أدبية شكري يعقوب نشر معهد المراسلة الدولي في بروكسل ببلجيكا طبع مطبعة السلام القاهرة ١٩٨٤، ف. ب. ماير: حياة يوسف مكتبة المحبة ١٩٧٨ ترجمة القمص مرقس داود.

(٣) على سبيل المثال انفراد القرآن الكريم بذكر دعوة يوسف عليه السلام في السجن إلي وحدانية الله، ونقده للتعدد الذي كان عليه المصريون (الآيات ٣٧ - ٤٠) وكذلك ورد في سورة غافر على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون، "ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فهازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا" وهذا يثبت إرسال الله لسيدنا يوسف بالرسالة والبينات للمصريين قبل سيدنا موسى (غافر: ٣٤).

(٤) من هذا التناقض أنه ورد في الإصحاح ٣٧ من السفر أن يهوذا هو صاحب الكلمة الأخيرة في أمر يوسف فاقترح أن يبيعه للإسماعيليين ولكننا نقرأ في موضع آخر أن راويين هو صاحب الكلمة الأخيرة فاقترح إلقاءه في الحب وهناك وجده تجار من مدين فلما تحدث - السفر عن بيعه إلي عزيز مصر ذكر في موضع أن المديانيين الذين باعوه وفي موضع آخر أن - الإسماعيليين هم الذي باعوه، ويرجع عصام الدين حفني ناصف هذا الاضطراب وذلك التناقض - المعهود كثيرا في الأسفار - إلي أن قصة يوسف - شأنها في ذلك شأن الكثير من قصص الأنبياء في الكتاب المقدس - مؤلفة من قصتين متباينتين مزجت كل منهما بالأخرى دون لباقة ولا انسجام فكان عقبي ذلك شيوع التناقض في أجزاء منها (راجع التكوين ٣٧: ٢٦، ٢٨، ٢١ - ٢٤ / ٣٨، ٣٦ / ٣٩: ١ عصام الدين حفني ناصف: الأسطورة والوعي ص ٧٥ - ٧٧ دار العالم الجديد القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٦ م).

ومهما يكن من أمر فإن السفر قد صرح بقدم إسرائيل وبنيه إلى مصر^(١).

وذكر أن الفرعون^(٢) قد أحسن استقبالهم^(٣) وقال ليوسف "أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ليسكنوا في أرض جاسان"^(٤) وإن علمت أنه يوجد بينهم ذو قدرة - فاجعلهم رؤساء مواش على التي لي^(٥).

وبين استيطانهم في مصر واستقرارهم بها فجاء في السفر "وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً"^(٦).

(١) تكوين ٤٦: ٥ - ٧ وذكر السفر أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر (بنوه وبنو بنيه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر) وقد بلغ عددهم حسب ما قال السفر سبعين فرداً (راجع تكوين ٤٦: ٨ - ٢٧).

(٢) عرف عاهل مصر في عصورها القديمة باسم فرعون، وهو لقب اختص به كما اختص كسري عند الفرس والنجاشي عند الأحباش. وقيصر عند الروم، ولم يكن لفظ فرعون في بدايته أكثر من تعريف اصطلاحى إداري كتب في صيغته المصرية "برعو" بمعنى البيت العالي أو القصر العظيم ونقل إلى العبرانية بلفظ "فرعو" وإلى العربية بلفظ "فرعون" فكان يكتفى به أولاً عن قصر فرعون دون شخصه، على أن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ الأسرة الثامنة عشر على عهد اخناتون (١٣٧٠ - ١٣٤٩) فلما كانت الأسرة التاسعة عشرة - وهي أسرة - رمسيس الثاني وبنيه - ذاع اللقب فيما ورد عن الملك في الخبر والخطاب راجع د: عبد العزيز صالح: مصر والعراق ص ٨١، د/ أحمد يوسف مصر في القرآن والسنة ص ١٣٣ - ١٣٤. وعلى ذلك فإن ذكر التوراة لحاكم مصر على أنه الفرعون يعتبر خطأ تاريخياً، وتظهر دقة الإعجاز القرآني حين تحدث القرآن الكريم عن الملك في عصر يوسف دون أن يصفه بأنه فرعون وإنما بلقب الملك إذ لم يكن لقب فرعون ذائعاً في ذلك العصر ولم يكن هذا الملك أيضاً مصرياً حتى يلقب باللقب الذي اختص به الملوك المصريون وحين تكلم عن حاكم مصر في عصر موسي وصفه بأنه فرعون.

(٣) تكوين ٤٧: ١ - ٤.

(٤) تكوين ٤٧: ٥ - ٧.

(٥) أرض جاسان: منطقة خصيبة في مصر كثيرة المرعى للقطعان والمواشي واقعة شرق الدلتا وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبي زعل إلى البحر ومن بركة جعفر إلى وادي توميلات (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٢ - ٢٤٣) وجاسان التي وردت في التوراة يطلق عليها أرض جسم أو جاسام في النصوص المصرية (مصر في القرآن والسنة ص ٦٧) وإذا أردت مزيداً من التفاصيل حول اختلاف العلماء في تحديد موقعها راجع (محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء السابع ص ٢٣٢ - ٢٣٧).

(٦) تكوين ٤٧: ٢٧ - ٢٨.

إن من الصعب أن نحدد بشكل قاطع تاريخ دخول بني إسرائيل إلى مصر ويرجع ذلك إلى أن الأسفار لم تعين هذا التاريخ، وكذلك لم يعثر حتى الآن في الآثار المصرية على أدنى إشارة إلى دخول بني إسرائيل وخروجهم منها^(١).

ومع ذلك فإن كثيرا من علماء الآثار المصرية والمؤرخين^(٢) يرجحون القول بأن بني إسرائيل قد دخلوا مصر في عهد الهكسوس^(٣)، وأن ذلك الدخول تم في

(١) لقد وردت أول إشارة إلى إسرائيل في نقش مرنتاح حوالي (١٢٢٠ ق. م) وهو أقدم نقش ورد فيه ذكر إسرائيل وهو عبارة عن أنشودة انتصار (هوامش موسكاتي د/ السيد يعقوب بكر ص ٢٧٨) وأما قصة دخول بني - إسرائيل وخروجهم منها فلم يعثر عليها حتى الآن في الآثار المصرية ولعلها تكون قد سجلت ولم تكتشف أو أنها لم تسجل حيث إنها - فيما يرى المؤرخون وعلماء الآثار - تعتبر من الحوادث التافهة لدى المصريين القدماء والسبب الذي أدى إلى عدم ذكر يوسف في الآثار على الرغم من مكانته في الدولة هو أن كل عمل عظيم قام به كان ينسب إلى الملك الذي كانت النقوش تهدف إلى تعظيمه والإشادة بذكره لأن كل شيء كان من وحيه هو ولعل عدم ذكر حادث الخروج راجع إلى أن النقوش كانت تسجل الانتصارات وتغض الطرف عن الهزائم والانتكاسات ولا يخفي أن الخروج وما تبعه من غرق فرعون وجيشه يشكل انتكاسة خطيرة وفشلاً ذريعاً في الحياة المصرية ولعل هذا أيضا هو السبب في الغموض الذي ساد فترة الهكسوس حيث كان عصرهم بغيبا إلى نفوس المصريين لأنه عصر الذلة والاحتلال. (راجع سلم حسن: مصر القديمة الجزء السابع ص ١٠٦ - ١٠٨ طبعة دار الكتاب المصرية القاهرة ١٩٥٠، شاهين بك مكاربوس: تاريخ الإسرائيليين ص ١٠، د/ محمد بيومي مهران دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء السابع ص ٢٥٥).

(٢) راجع وليم ف. أولبرايت: آثار فلسطين ص ٨٦ ترجمة د/ زكي اسكندر، د/ محمد عبد القادر المجلس الأعلى للثئون الإسلامية ١٩٧١ م، غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٣٢ - ٣٣ ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٢٤ مورييس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديث ص ٢٥٥ دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٧٧، حبيب سعيد: أديان العالم ص ١٧٤ - ١٧٥ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٧٧، أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل ناقلا عن مصادر أجنبية ص ١٤٢ - ١٤٥، د/ محمد أحمد حسن: مصر والعرب وإسرائيل ص ٨ - ٩.

(٣) تعني كلمة الهكسوس ملوك البلدان الأجنبية والتفسير الشائع "الملوك الرعاة" ولا يزال أصلهم موضع خلاف، وكل ما هو مقطوع به أنهم كانوا غزاة من الشرق وأنهم من عرق سامي، وأنهم من شعوب متعددة، وقد احتلوا مصر حوالي قرن كامل من الزمان تكونت منهم الأسر الثلاث (١٥)، (١٦، ١٧) وكانوا في فترة من ١٦٧٥ - ١٥٧٠ ق. م راجع حول هذا الموضوع بريستيد: العصور القديمة ص ٨٥ موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص ١٢٣ - ١٢٤، د/ فيليب حتى: موجز تاريخ المشرق الأدنى ص ١٩٥ وما بعدها، د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية ص ٢٤٤، وما بعدها د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

منتصف القرن السابع عشر ق. م^(١) واعتمدوا في هذا الترجيح على أدلة كثيرة^(٢) وأياً ما كان الأمر فقد عاش بنو إسرائيل في مصر، واختلطوا بالمصريين وتفاعلوا معهم ونعموا بالأمان والرفاهية في عهد يوسف عليه السلام وفي عهد الهكسوس.

يذكر سفر الخروج أن بني إسرائيل بعد أن مات يوسف وكل إخوته "أثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتألت الأرض منهم"^(٣).

ولكنهم بعد ذلك وكما يقول السفر قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف^(٤) - فأذاقهم الذل والهوان^(٥).

واستمر بنو إسرائيل يعانون من ذل المصريين حتى أرسل الله إليهم وإلى فرعون سيدنا موسى مع أخيه هارون عليهما السلام.

وقد وردت قصة موسى عليه السلام مع فرعون مفصلة في كثير من السور وأخذت حيزاً كبيراً من الآيات في القرآن الكريم فهي تبدأ منذ ولادته وإلقائه في

(١) راجع بترى نقلاً عن قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥، أولبرايت: آثار فلسطين ص ٨٦، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الثالث ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) ومن هذه الأدلة على سبيل المثال: أن عصر الهكسوس هو من أنسب العصور لدخول الإسرائيليين في مصر لأنه عصر الاضطراب التاريخي لأنه في مثل هذا الاضطراب التاريخي فقط كان يتسنى لهم أن يلقوا ترحاباً وهم الغرباء النازحون (حبيب سعيد: أديان العالم ص ١٧٥ ومنها أيضاً استدلال البعض أن فضيحة امرأة العزيز تصور ما كان عليه مجتمع الدخلاء من حكام الهكسوس في مصر من فساد وانحلال ولأن ما حدث فيها يخالف طبيعة الأشياء ويخرج عن سليقة المصري بما ركب فيه من الأنفة والحمية والكرامة والكبرياء (د/ أحمد يوسف: مصر في القرآن والسنة ص ٤٠ - ٥٣، ومنها أيضاً أن التوراة في سفر التكوين تروى أن يوسف كان يركب في عربة الفرعون الثانية على أساس أنه نائب الملك وفي هذا دلالة على عصر الهكسوس ذلك لأن حكام البلاد الأجنبية هؤلاء هم أول من أدخل عربة الحرب السريعة إلى مصر وأول من استعمل العربات الرسمية في المناسبات العامة في مصر (كيلر: التوراة كتاريخ نقلاً عن د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق ج ٧ ص ٢٥٠.

(٣) خروج ١: ٧.

(٤) خروج ١: ٨.

(٥) راجع خروج ١: ٨ - ٢١، وتفصيل الحديث عن اضطهاد المصريين للإسرائيليين في الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد في الباب الثاني.

اليَمِ^(١) وتنتهي بمعجزة انفلاق البحر التي أجراها الله على يد موسى ونجاته هو وبنو إسرائيل من فرعون بعد أن غرق فرعون وجنوده^(٢).

وتتفق قصة سيدنا موسى وفرعون وخروجه ببني إسرائيل في التوراة مع القرآن الكريم في كثير من الأحداث وإن كانت تختلف عنها في بعض الأمور^(٣).

هذا وقد اختلفت الأسفار في تحديد المدة التي قضاها بنو إسرائيل بمصر: يذكر سفر الخروج أن الفترة التي قضاها بنو إسرائيل بمصر بلغت أربعمئة وثلاثين عاماً^(٤).

بينما أورد سفر التكوين أن الله قد وعد إبراهيم بقوله له (أعلم يقينا أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلّوهم أربعة مائة سنة)^(٥).

(١) مصداقاً لقول الله سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَفِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٧ راجع أيضاً طه: ٣٩). واليم في اللغة العربية البحر أو النهر وهو كذلك في اللغة المصرية القديمة، إذ اليم لفظة سامية عرفت في المصرية منذ الأسرة الثامنة عشر حوالي القرن السادس عشر ق. م، وكان المصريون يطلقون على البحر والنهر وما اتسع من لج الماء لفظ اليم ومنه جاء اسم منخفض الفيوم بعد إضافة فاء التعريف في المصرية القديمة. على أن الذي يستوقف النظر هنا أن اللفظ ورد في القرآن الكريم ثماني مرات لم يذكرها في أحدها في غير ما يخص مصر وليس غير، حيث ذكر بمفهوم النيل ثلاثاً وأطلق على البحر الذي غرق فيه فرعون خمساً وكاناً يشير القرآن الكريم إلى موضع معلوم كما يدعوه أهله باسمه المعلوم (راجع د/ أحمد عبد الحميد يوسف مصر في القرآن والسنة ص ٨٧، ابن منظور: لسان العرب المجلد السادس ص ٤٩٦٦، مادة يم طبعة دار المعارف الحديثة معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثاني ص ٧١٠ مجمع اللغة العربية ١٩٧٢).

(٢) يقول الله تعالى: ﴿وَجَنَازَنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَلَيْتُمْ لَتُنَجِّيَنَّكَ يَدُكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾. يونس: ٩٠ - ٩٢.

وقال الله تعالى (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا لا تخاف دركاً ولا تعشي. فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم) طه: ٧٧، ٧٨.

(٣) راجع مورييس بوكاي: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٥٠ - ٢٥٤.

(٤) خروج ٢١: ٤٠.

(٥) تكوين ١٥: ١٣.

خروج بني إسرائيل من مصر:

وعلى أي حال فقد تم الخروج، ولكن القرآن الكريم وكذلك التوراة الحالية لم يرد فيها تحديد أو إشارة لتاريخ الخروج.

وإن كانت التوراة ذكرت أن هناك فرعونين قد عاصرا موسى عليه السلام هما فرعون التسخير والاضطهاد وفرعون الخروج ولكن دون ذكر اسميهما^(١). ومن ثم فقد اختلفت أقوال المؤرخين وعلماء الآثار في تحديد تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر.

فذهب فريق إلى أن خروجهم كان خلال القرن السادس عشر ق. م^(٢)، ويذهب فريق آخر إلى أن خروجهم كان في عهد تحوتمس الثالث وكان في عام ١٤٤٧ ق. م^(٣) بينما يرى فريق ثالث أن الخروج كان في عهد رمسيس الثاني. ١٢٨٠ ق. م أو ١٢٩٠ ق. م^(٤) وبجانب هذه الآراء الثلاثة توجد آراء أخرى كثيرة^(٥).

(١) ورد في سفر الخروج أن ملك مصر قد مات أثناء إقامة موسى في مدين "وقال الرب لموسى في مديان اذهب أرجع إلي مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو إسرائيل من العبودية" خروج ٢: ٣٢ / ١٩: ٤، وبالرغم من أن القرآن الكريم لا يصرح بموت فرعون الاضطهاد قبل إرسال موسى ولم يشير إلى أن هناك فرعونين إلا أن آياته الكريمة لا تمنع صحة ذلك.

(٢) يعتمد هؤلاء على ما رواه المؤرخ المصري القديم مانيثون وعلى أن الخروج قد ارتبط بخروج الهكسوس واستمر هذا هو الرأي السائد حتى القرن التاسع عشر (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٩، زكي شنودة: اليهود ص ٢٧، راجع د/ محمد مهران الجزء السابع ص ٣٦١ - ٣٧٦ حيث قام بتخطيط هذا الرأي).

(٣) منهم جارستانج هامش قصة الحضارة مجلد ١ ص ٣٢٦ ج ٢، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٤٠ - ٣٤١، د/ - نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٢٤٤ - ٢٤٥، راجع تخطيط هذا الرأي أيضا لدى د/ مهران الجزء السابع ص ٣٧٧ - ٣٩٠.

(٤) أشهر من قال بذلك هو أولبراي، راجع سليم حسن: مصر القديمة ج ٧ ص ١١٥ - ١١٧ قاموس الكتاب المقدس ص ٣٤١ د/ محمد أحمد حسن: مصر والعرب وإسرائيل ص ١٠. ومن العقبات التي تقف في وجه هذا الرأي أنه يجعل رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج وهو بذلك يخالف التوراة (راجع د/ مهران الجزء السابع ص ٤١١ - ٤١٢).

(٥) منها ما يذكره الدكتور أحمد يوسف من أن فرعون الخروج هو سيتي بن مرنبتاح (مصر في القرآن والسنة ص ١٣٩ - ١٤٨) وما رواه موريس بوكاي عن ج. دي ميسل من أن فرعون الخروج هو تحتمس الثاني وكان في ٩ إبريل ١٤٩٥ ق. م وكذلك ما ذكره دانييل رويس أنه أمينوفيس الثاني وغيرهم (راجع موريس بوكاي: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٥٩).

لكن الرأي الذي يميل إليه جمهور الباحثين ويرون أنه أقرب الآراء إلى الصواب هو أن الخروج قد تم في عهد مرنبتاح بن رمسيس الثاني وأنه وقع في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر أي حوالي ١٢٢٤ ق. م أو ١٢٢٠ ق. م وبناء على ذلك يكون فرعون التسخير هو أبوه رمسيس الثاني^(١).

وجدير بالذكر أن عصر موسي عليه السلام - حسب ذكرنا سابقاً لتاريخ مصر - يواكب عصر الدولة الحديثة^(٢) في عهد الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٤ - ١١٩٥ ق. م) في القرن الثالث عشر ق. م.

مدى تعلق الإسرائيليين بمصر:

هذا وبالرغم من خروج بني إسرائيل من مصر إلا أن قلوبهم ظلت متعلقة بها، وبقيت نفوسهم تهفو إليها.

يدلنا على ذلك ما ورد في سفر الخروج من تدميرهم بعد شهر ونصف من خروجهم من مصر "فتدمير كل جماعة بني إسرائيل على موسي وهارون في البرية، وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما خرجتانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع"^(٣).

وفي سفر العدد: "فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً، قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا في مصر والقشاء والبطيخ

(١) ارتضى هذا الرأي موريس بوكاي وبرهن على ترجيحه بكثير من الأدلة (راجع الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٦١ - ٢٧١ وكذلك فلندر بترى راجع هامش قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥، والدكتور فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ١٩٣ موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٣٤، الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص ١٣١، تيودور ه. روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ترجمة د/ عبد الحميد يونس المجلد الثاني ص ١٠٧ من تاريخ العالم نشر جون هامرتون، د/ عبد الحميد زايد/ الشرق الخالد ص ٣٧٨، ولزيد من التفصيلات عن ترجيح هذا الرأي راجع د/ محمد مهران الجزء ٧ ص ٤١٣ - ٤٣٦.

(٢) يضم عصر الدولة الحديثة الأسر (١٨، ١٩، ٢٠) ١٥٧٠ - ١٠٨٠ ق. م.

(٣) خروج ١: ١٦ - ٢ راجع أيضاً عدد ٢٠: ١ - ٥.

والكرات والبصل والثوم، والآن قد ييست أنفسنا، ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن" (١).

فهم قد ضاقوا بالمن وملوا منه وسرى فيهم الحنين إلى أطعمة مصر المتنوعة ولعل هذا هو المراد بقوله تعالى (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) (٢).

هذا وقد وصل الإسرائيليون إلى ذروة التذمر على موسى وقمة حنينهم إلى مصر حينما اقترحوا على أنفسهم أن ينصبوا قائدا عليهم غير موسى ويعودوا تحت زعامته إلى مصر (٣).

ومن ذلك يتبين لنا أن الإسرائيليين رغم خروجهم من مصر إلا أنهم كانوا يحنون إليها ويودون الإقامة بها مرة أخرى حتى ولو كانوا مستعبدين (٤).

مصر واليهود في عهد سليمان:

يذكر سفر الملوك أن الملك سليمان قد صاهر فرعون ملك مصر فتزوج ابنته وأتى بها إلى مدينة داود (٥)، وكان مهرها - فيما يزعم كاتب السفر - أن هذا الفرعون قد أحرق مدينة كنعانية وقتل سكانها، وأعطاهها مهرها لابنته امرأة سليمان (٦).

(١) راجع عدد ١١: ٤ - ٩ راجع أيضاً ١١: ١٨ - ٢٠.

(٢) من الآية رقم ٦١ (سورة البقرة).

(٣) "فرغت كل الجماعة صوته وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة، وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر.. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر، فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر" راجع عدد ١٤: ١ - ٤. وحينما احتج اثنان منهم على هذا التذمر وذلك الاقتراح حكموا عليهما بأن يرجعا بالحجارة (راجع عدد ١٤: ٥ - ١٠).

(٤) راجع خروج ١٤: ١٠ - ١٢.

(٥) ملوك أول ٩: ١٦، والواقع أن تحديد اسم هذا الفرعون لا يزال في مرحلة الفروض فهو قد يكون شا أمون أو بسوسينيس الشني (راجع ابنتين دريوتون وجاك فاندبييه: مصر ترجمة عباس بيومي ص ٥٧٦ ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية القاهرة سليم حسن: مصر القديمة الجزء التاسع ص ١٣٠ مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥٢م، د/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق ص ٢٦٥).

(٦) ملوك أول ٩: ١٦ وهذه المدينة تسمى "جازر" وهي إحدى المدن الكنعانية القديمة واسمها الحالي "تل الجزر وتقع على بعد ١٨ ميلاً شمالاً غرب أورشليم (راجع قاموس ص ٢٤٢).

مع ذلك فقد كانت مصر ملجأً للفارين من الحكم الإسرائيلي ووكراً للناقمين عليه، ورد في سفر الملوك أن أحد الثائرين على سليمان واسمه هدد الأدومي كان قد فرَّ إلى مصر هرباً من المجزرة البشرية التي أقامها يوبَّ قائد جيش داود إذ أنه استباح مدينة الأدوميين لمدة ستة شهور فذبح من فيها من ذكور، واستقبل هدد من فرعون مصر بكل ترحاب. بل إنه زوجه أخت امرأته، وظل مقيماً في مصر حتى علم بموت داود وهلاك يوبَّ - فعاد إلى بلاده ليقوم بالثورة ضد سليمان وصار من ألد خصومه^(١).

مصر واليهود في عصر الانقسام:

ولقد كان لمصر أيضاً دور كبير في إحداث الانقسام الكبير الذي وقع عقب وفاة سليمان عليه السلام^(٢).

إذ أن يريعام^(٣) كان قد تمرد على سليمان في حياته فلما هم سليمان بقتله هرب إلى مصر فاستقبله ملكها شيشق^(٤) وظل مقيماً بها إلى وفاة سليمان^(٥).

(١) ملوك أول ١١: ١٤ - ٢٢ - وما يذكر أن هدد هذا كان من أفراد الأسرة المالكة الأدومية، والأدوميون كما سيأتي ذكرهم هم من نسل عيسو بن إسحاق، ولا يزال اسم هذا الفرعون الذي استقبله مجهولاً، وإن كان هناك من يحتفل أنه هو نفس الفرعون الذي زوج ابنته لسليمان (دريوتون وفاندييه: مصر ص ٥٧٦، سليم حسن: مصر القديمة ج ٩ ص ١٣٠، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول: الكتاب الثاني ص ٢٦٨، ويقول جاردنر إن هذه الأحداث مذكورة فقط في العهد القديم ولا يوجد تأكيد يمكن الحصول عليه من الجانب المصري، ولكن المؤرخين لا يجدون أيضاً مبرراً يمنع ذلك (د/ محمد أحمد حسن: مصر والعرب وإسرائيل ص ١٩).
(٢) يذكر المؤرخون أن السياسة المصرية في الواقع كانت في ظاهرها تدل على المصافاة والود مع ملوك اليهود لكن الفراعنة لم يتركوا أية فرصة لإضعافهم وذلك بتشجيع كل محاولة للإنشقاق عليهم
دريوتون وفاندييه: مصر ترجمة عباس بيومي ص ٥٧٦ - ٥٧٧ سليم حسن: مصر القديمة ج ٩ ص ١٣٣.

(٣) يريعام هو أول ملوك مملكة إسرائيل.

(٤) ورد اسم هذا الفرعون في التوراة "شيشق" ويكتب بالمصرية القديمة شيشنق أو شوشنق ويطلق عليه شيشنق الأول (٩٥٠ - ٩٢٩ ق. م) حيث إنه أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين (٩٥٠ - ٧٣٠ ق. م) دريوتون وفاندييه: مصر ص ٥٧٤، مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر ص ١١٧، سليم حسن: مصر القديمة ج ٩ ص ١٠٩.

(٥) راجع ملوك أول ١١: ٢٦ - ٤٠.

وانخرط يربعام في سلك المصريين وتفاعل معهم حتى زوجه الفرعون إحدى بناته^(١) وقيل إن أمه أيضا كانت مصرية^(٢).

ولما كان المصريون ينتهزون كل فرصة لتنمية روح الانقسام بين حكام اليهود فلم تلبث الفرصة أن سنحت لهم عند موت سليمان فأوعزوا إلى يربعام أن يشق عصا الطاعة على رحبعام ويؤسس مملكة إسرائيل^(٣).

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، وإنما كانت مصر أول دولة خارجية تغزو مملكة الجنوب (يهوذا) فقد قام ملكها بتخريب مدن المملكة ونهب مدينة أورشليم واستولى على كنوز الهيكل والقصر، ورد في الأسفار "في السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان"^(٤).

ويبدو أن هذا الغزو كان بإيعاز من يربعام حتى يظهر قوته على منافسه رحبعام^(٥).

وإذا كانت المصادر لم تذكر اشتباك شيشق مع يربعام فإن ذلك لا يمنع أن يكون

(١) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢١٥ ويلاحظ أن سليمان كان قد تزوج بنت الفرعون السابق فلم يمنع ذلك من تزويج عدوه ومنافسه يربعام.

(٢) د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الجزء ٨ ص ١٩٢ ناقلا عن مصدر أجنبي وذكرت كاترين هنري أن يربعام كنان صف مصري (التاريخ في الكتاب ص ٦٠-٦٦).

(٣) دريوتون وفاندييه: مصر ص ٥٧٧، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٦٠-٦٦، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ١ ك ٢ ص ٢٦٨.

(٤) ملوك أول ١٤: ٢٥-٢٧ راجع أخبار ثان ١٢: ٢-٤، ٩-١٠، وكان عدد أتراس الذهب مائتي ترس من ذهب مطرق، زنة الترس الواحدة تسعمائة شاقل من الذهب وثلاثة مائة مجن من ذهب مطرق خصص المجن الثلاثة أمناء من الذهب (ملوك أول ١: ١٦-١٨)، ويذكر العلماء أن هناك نقشا تاريخيا قد أشار إلى هذه الغزوة وأن مصر قد عاشت - ما يقرب من قرنين على هذه الغنيمة التي حصل عليها الفرعون (د/ يوتون وفاندييه: مصر ص ٥٧٧-٥٧٨، مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر ص ١١٧).

(٥) يرى كل من سيسل روث وادولف لودز وهول أن يربعام قد استنجد بملك مصر ليتنصر له على (رحبعام) نقلا عن د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الجزء ٨ ص ٩٥٥.

قد فرض سيادته على مملكة إسرائيل لأن يربعام كان غرسته وصنيعته وأداة من أدواته^(١).

يقول الدكتور أحمد فخري "وليس هناك شك في أن نجاح يربعام كان بسبب تأييد مصر ومناصرتها له، لهذا لا نعجب إذ ظل يربعام مواليا لها، ولا نعجب أيضا إذا كان رحبعام يعتقد أن مصائبه كلها أتت من مصر"^(٢).

وقد ظل ولاء مملكة إسرائيل لمصر مستمرا حتى تسبب بطريق غير مباشر في القضاء عليها من الآشوريين جاء في سفر الملوك الثاني "ووجد ملك آشور هوشع^(٣) خيانة، لأنه أرسل رسلا إلي سوا ملك مصر، ولم يؤد جزية إلي ملك آشور .. فقبض عليه وأوثقه في السجن ... وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبي إسرائيل إلي آشور"^(٤).

وأما مملكة يهوذا فإنها قد اتجهت إلي مصر وتحالفت معها ضد الآشوريين بعد زوال مملكة إسرائيل، إذا استنصر بها حزقيا^(٥) ضد ملك آشور فأرسل إليه من يقول له "والآن على من اتكلت حتى عصيت عليّ، هوذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة، على مصر التي إذا توكأ أحد عليها دخلت في كفه وثقبتها هكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلمين عليه"^(٦).

(١) محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٧.

(٢) مصر الفرعونية ص ٣٩٨.

(٣) هوشع هو آخر ملوك مملكة إسرائيل.

(٤) ملوك ثان ١٧ - ١ - ٦ ولم تعرف شخصية هذا الفرعون (سوا) حتى الآن وهناك - اجتهادات كثيرة حول هذا الشأن، وكل ما يمكن قوله إن هذا الحدث يشير أنه من ملوك الأسرة الرابعة والعشرين (راجع د/ محمد مهران الجزء الثامن ص ٩٤٠ - ٩٤٥ د/ محمد أحمد حسن: مصر والعرب وإسرائيل ص ٢٣).

(٥) هو الملك الثاني عشر من ملوك يهوذا.

(٦) راجع ملوك ثان ١٨ : ١٧ - ٢١ وقبل إن فرعون مصر في ذلك الوقت كان يسمى (شيتكو) ثم خلفه في مساعدة يهوذا خلفه (طهرقاً) وكان من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية ص ٤١٤ - ٤١٥).

وكان أشعيا^(١) من معارضي سياسة التقرب من مصر والاعتماد عليها واعتبر ذلك جلباً للخزي والعار^(٢).

وكان من أثر هذه المعارضة أن مملكة يهوذا قد اتجهت إلى بابل، وحاول ملكها يوشيا^(٣) أن يتقرب إلى البابليين بالوقوف في وجه مصر ففي أثناء ملكة زحف فرعون مصر "نخو"^(٤) لينال من البابليين فتصدى له الملك يوشيا ولكنه انهزم أمامه وقتل في المعركة، فقام اليهود بتولية ابنه يهوآحاز عوضاً عنه، وبعد توليه بثلاثة شهور قام فرعون مصر بأسره وحمله معه إلى مصر حتى مات بها بعد أن عين أخاه الياقيم بن يوشيا بدلاً منه وغير اسمه إلى يهو يا قيم، وصار تابعا مخلصاً له، وأصبحت مملكة يهوذا خاضعة للسيادة المصرية^(٥).

وسقوط مملكة يهوذا والهجرة الجماعية إلى مصر:

تمكن البابليون من هزيمة المصريين وأخضعوا مملكة يهوذا لسيطرتهم، ولكن المصريين قاموا بتحريض اليهود على التمرد والثورة ضدهم فأدى ذلك إلى سقوط المملكة وتدمير أورشليم^(٦).

(١) معنى أشعيا: الرب يخلص وهو اسم النبي الكبار الذي تنبأ في يهوذا في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا - ملوك يهوذا - ويرجح أنه عاش إلى أن الثانيين من العمر، ويعتبر أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة (راجع الحديث عنه بالتفصيل في قاموس الكتاب المقدس ص ٨١-٨٢).

(٢) ومن أقوال أشعيا على لسان يهوه "ويل للنيين المتمردين - الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمي ليلتجئوا إلى حصن فرعون ويحتتموا بظل مصر، فيصير لكم حصن فرعون خجلاً والاحتفاء بظل مصر خزياً، فإن مصر تعين باطلاً وعبثاً (اشعيا ٣٠: ١-٧ راجع ٣١: ١-٣).

(٣) يوشيا: هو الملك الخامس عشر من ملوك يهوذا.

(٤) نخو هو ابن بسمتيك الأول - ويسمى "نكاو الثاني" (٦٠٩ - ٥٩٤ ق. م) وهو أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٣ - ٥٢٥ ق. م) وكان هذا الزحف من أوائل أعماله التي قام بها (دريوتون وفاندييه: مصر ص ٦٤٧ مرجعيت ماري: مصر ومجدها الغابر ص ١٢٥، د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية ص ٤١٨، ٤٢٤).

(٥) راجع ملوك ثان ٢٣: ٢٩-٣٥، أخبار ثان ٣٥: ٢٠-٢٥ / ٣٦: ١-٤.

(٦) أوقع نبوخذ مصر ملك بابل الهزيمة بالفرعون نخاو الثاني في موقعة قرقيش عام ٦٠٥ ق. م وأجلاه عن فلسطين، ولما ثارت عليه مملكة يهوذا عام ٥٩٧ ق. م تمكن من إخضاع ثورتهم فعدت إلى الثورة مرة ثانية (٨٨٥ - ٥٨٦ ق. م) مؤملة أن يسارع ملك مصر "ابريس" (من ملوك الأسرة السادسة والعشرين) وهو خفرع في التوراة (٥٨٩ - ٥٦٩) إلى نجدها ولكن ملك بابل سارع إلى إخضاع الثورة وتدمير أورشليم تدميراً شاملاً، وكان في يهوذا في ذلك الوقت (٥٨٨ - ٥٨٦) حزبان أحدهما يميل إلى مناصرة مصر وملكها "وكانت لا تزال تتداعب أحلام هذا الحزب ذكريات اليهود =

وحين حدث ذلك فزع كثير من اليهود وفروا إلى مصر خوفاً من بطش البابليين^(١) غير مباينين بتحذير نبينهم ارميا^(٢) وتوعده لهم بالهلاك إن هم نزحوا إليها^(٣) ويبدو - أنه قد اضطر هو أيضاً إلى أن ينضم إليهم ويلوذ بالفرار معهم^(٤).

وفتحت مصر صدرها لهؤلاء المهاجرين، فرحب بهم ملكها، ومد لهم حبل الإقامة^(٥).

= السعيدة عن مصر أرض الخصب والرخاء "وكان الحزب الآخر يري الرضوخ للبابليين (راجع ارميا ٢٨: ١ / ٣٧: ١ - ٥ / ٤٤: ٣٠ / ٤٦: ١ - ٢ راجع أيضاً مرجيت ماري: مصر ومجدها الغابر ص ١٢٦ د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطالة والرومان مع مقدمة عن مصر في العصر الفرعوني ص ٤ د/ صالح: مصر والعراق ص ٣٠٦).

(١) جاء في سفر الملوك الثاني أن الذين نجوا من السبي البابلي وبقوا في اورشليم قتلوا من ولاء البابليون عليهم "فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر لأنهم خافوا من الكلدانيين (راجع ٢٥ / ٢٥ - ٢٦).

(٢) ارميا: ومعناه الرب يؤسس أو الرب يثبت وهو ابن خلقي الكاهن وأحد الأنبياء الكبار ويطلق عليه النبي العظيم وقد تنبأ في عهد يوشيا وصدقيا وعاصر أحداث السبي البابلي وكان متها بموالة البابليين (راجع سفر ارميا لأصحاحات الأولى وراجع قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢ - ٥٣).

(٣) أخذ الشعب يلح على ارميا ويرجوه أن يسأل الرب حتى يسمح لهم بالفرار إلى مصر ولكن ارميا أخبرهم بأن الرب يعارض الفرار إلى مصر وأنذرهم بالهلاك والموت إن هم عصوا أمره ولكنهم رموه بالكذب واتهموه بالخيانة ونزحوا إلى مصر في هجرة جماعية (راجع ارميا ٤٢: ١ - ٢٢، ٤٣: ٧ - ١).

(٤) راجع ارميا ٤٣: ٨ - ١٣. صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٤٦٥، بريستيد العصور القديمة ص ٢٣١.

(٥) لقد صادف قدوم اليهود إلى مصر قبولا لدى ملوك العصر الصاوي - ومنهم ابريس (الذي رحب بهم) - إذ كانوا يشجعون الأجانب على المجئ إلى مصر للاشتغال بالتجارة والجنديّة، وقبل ابريس استخدم الملك بساتيك الأول (٦٦٤ - ٦٠ ق. م) كثيراً من اليهود جندا مرتزقة، وكذلك بساتيك الثاني (٥٩٣ - ٥٨٩ ق. م) كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٩٨ - ٩٩. د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالة الجزء الثاني ص ١٤٩ طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨١ م، د/ مصطفى كمال عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطالة والرومان ص ٥ - ٦، وقد جاء في سفر ارميا "الكلمة التي صارت إلى ارميا من جهة كل اليهود الساكنين في أرض مصر، الساكنين في مجدل وفي تحفنجيس وفي نوف وفي أرض فتروس .. ارميا ٤٤: ١، ويدل تشعب هذه الأماكن على وجود كثير من اليهود في مصر من قبل عصر النبي ارميا، بالإضافة إلى أننا نجد في ارميا ٢٤: ٨ إشارة واضحة إلى وجود جماعات من اورشليم سكنت أرض مصر في عصر "صدقيا - ملك يهوذا" (راجع د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر ص ٣، محمد على هوارى الألوهية عند بني إسرائيل ص ٤٢١ - ٤٢٢).

الجالية اليهودية في اليفنتين (أسوان)

كما رأينا، وكما - حدثنا المصادر القديمة فإن اليهود قد انتشروا في العصر الصاوي^(١) وبعده في مختلف أنحاء مصر، وأنشأوا عددا من الجاليات اليهودية بها وكانت جزيرة الفينيتين (أسوان)^(٢) من أهم وأشهر المناطق التي استقرت بها هذه الجاليات.

وترجع أهمية وشهرة هذه المنطقة إلى ما عثر فيها من البرديات والوثائق الآرامية^(٣).

وقد سميت هذه الوثائق وتلك البرديات بالآرامية، لأن اليهود في هذه الجزيرة قد اتصلوا بالآراميين اتصالا وثيقا، واختلطوا بهم اختلاطا شديدا حتى صار من المتعذر التفرقة بين الآراميين واليهود.

(١) ينسب هذا العصر إلى اسم عاصمته (صا الحجر) على فرع رشيد في غرب الدلتا وذكرت في النصوص المصرية باسم "صاو" وعاشت في هذا العصر الأسرة السادسة والعشرون (د/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق ص ٣٠٠).

(٢) تقع جزيرة الفينيتين والمعروفة الآن باسم جزيرة أسوان على بعد يقل عن ستة أميال من الشلال الأول مقابل مدينة أسوان الحالية عبر النهر، ويعني اسمها في اللغة المصرية القديمة "فيل" والذي انتقل إلى اليونانية تحت اسم "اليفانيتين" ولذلك فإنها تسمى جزيرة الفيلة، وقد ذكرت أسوان في سفر - حزقيال ٢٩ : ١٠ / ٣٠ : ٦، راجع بريستيد: العصور القديمة ص ٢٣١، قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦، د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر ص ٦، د/ مهران: الجزء ٨ ص ١٠٨٤.

(٣) اكتشفت هذه البرديات وتلك الوثائق عام ١٩٠٣ وهي ترجع إلى القرن الخامس ق. م. وتعطينا صورة واضحة مفصلة عن حياة الجالية اليهودية في اليفتين من كافة النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية، كما أنها تمدنا ببعض المعلومات الأخرى عن أماكن أخرى استقر بها اليهود وذلك بفضل الرسائل التي كان أولئك اليهود يتبادلونها مع إخوانهم في اليفتين، وفضلا عن ذلك فإن هذه البرديات تعتبر بمثابة سجل حافل بالأحداث التاريخية التي كانت اليفتين بل مصر كلها إلى حد ما مسرحا لها في العصر الفارسي (٥٢٥ - ٣٣٢ ق. م) ويضم الأسر من ٢٧ - ٣١.

وقد كتب عن هذه الوثائق الدكتور مراد كامل تحت عنوان "النصوص الآرامية التي كشفت حديثا في مصر في مجلة أحداث الثلاثاء بدار - السلام القاهرة ١٩٥٢ م (راجع د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر ص ٦ - ٧ بريستيد: العصور القديمة ص ٢٣١، د/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق ص ٣١٧).

ولذلك فقد أطلق العلماء عند الحديث عنهم تسمية الجالية الآرامية اليهودية^(١).

هذا وقد تعددت وجهات النظر في ظروف اتجاه هذه الجالية أو تلك الحامية اليهودية إلى أسوان، وتوقيت بداية سكنها فيها وانضمامه إلى معسكراتها^(٢).

وإن كانت الآراء تكاد تتفق على أن يهود اليفتين كانوا من سلالة الجند المرتزقة الذين عملوا في جيش بسماتيك الثاني أو من سلالة الذين نجوا من السبي البابلي بعد تدمير هيكل أورشليم عام ٥٨٦ ق. م^(٣).

ولما كانت إحدى الوثائق الآرامية التي عليها في اليفتين تشير إلى أن المعبد الذي أقامته الجالية اليهودية يرجع إلى عهد ملوك مصر فإن الرأي السائد اليوم هو أن قيام تلك الجالية يرجع إلى ما قبل الفتح الفارسي لمصر عام ٥٢٥ ق. م^(٤).

(١) قدم الدكتور بولس عياد دراسة عن الآراميين في مصر وذكر فيها أن كلا من الآراميين واليهود قد نزحوا إلى مصر في وقت متقارب واستقروا في القرنين السادس والخامس ق. م وذكر أن من المتعذر التفرقة بينهم لأسباب كثيرة عدد منها ثلاثة عشر سببا، وكلها توضح اختلاط الأسماء الآرامية باليهودية، وأن اليهود قد تأرموا وأن كلا منهم قد استخدم اللغة الآرامية بعد أن صارت الآرامية لغة دولية، وأنهم عبدوا الآلهة الوثنية المصرية وحدث بينهم تزاوج واختلاط (راجع كتاب الآراميون في مصر ص ٢٦-٣٢، راجع أيضاً د/ صالح: مصر والعراق ص ٣٢٠).

(٢) ظهرت نظريات متعددة تشير إلى بداية تكوين الحامية اليهودية في اليفتين بلغت حوالي سبع نظريات، وقد ربطت بعضها بين لجوء اليهود إلى مصر وبين أحداث التاريخ اليهودي على فلسطين خلال القرنين السابع والسادس ق. م، والتفتت نظريات أخرى - إلى أحداث مصر نفسها ودواعي اجتذاب بعض اليهود إلى حدودها الجنوبية.

ونستطيع القول بأن غالبية هذه الآراء تكون أقرب إلى الدقة، إذ اعتبرناها إشارات إلى الفترات التي شهدت هجرات يهودية متتالية إلى أرض مصر بشكل عام.

راجع/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق ص ٣١٧-٣١٨، د/ يولس عياد: الآراميون في مصر ص ٣٨ - ٤٠، د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن ص ١٠٧٨ - ١٠٨٥، محمد علي حسن هوارى: الألوهية عند بني إسرائيل رسالة دكتوراه بجامعة عين شمس ص ٤٥٥ - ٤٥٩.

(٣) د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطالة والرومان ص ٧.

(٤) أي إلى أوائل القرن السابع وأوائل القرن السادس ق. م راجع د/ إبراهيم نصحي في: - تاريخ مصر في عهد البطالة الجزء الثاني ص ١٥٠، د/ مصطفى عبد العليم ص ٨.

كما يستنتج من النظريات المتعددة التي عرضها العلماء أن تكوين هذه الحامية يرجع إلى عهد الأسرة السادسة والعشرين المصرية، وأنها استمرت طوال الأسرة السابعة والعشرين الفارسية^(١).

(١) د/ بولس عياد: الآراميون في مصر ص ٤٠.

المبحث الثاني: اتصال اليهود بشعوب فلسطين

أرض فلسطين وأهميتها التاريخية:

تقع أرض فلسطين في الجزء الجنوبي من بلاد سورية القديمة^(١)، وقد اشتق لفظ فلسطين من اسم الفلسطينيين، إذ أطلق أولاً على الجزء الجنوبي الغربي الذي كان يسكنه هؤلاء الفلسطينيون.

ومنذ القرن الثاني عشر ق. م أطلق اليونانيون اسم فلسطين على كل المنطقة التي كانت تسمى قبل ذلك بأرض كنعان^(٢).

وكانت فلسطين - بهذا الموقع - تتمتع بأهمية كبيرة من جميع النواحي: سياسية واقتصادية، وثقافية، وهي من الناحية السياسية - فيما يذكر بريستيد - كانت هدفاً دولياً^(٣) إذ أن - موقعها جعلها معتركا حربيا فتبارت على أرضها جيوش الأمم المحيطة تتقاتل وتتطاحن^(٤) حتى غدت ميدانا للتطاحن العالمي - كما يقول روبنسون - فليس هناك على سطح الأرض - بقعة اقتتل فيها الدول العظمى كما اقتتل في فلسطين^(٥).

(١) يمتد هذا الجزء بين البحر المتوسط والصحراء السورية من جبل حرمون حتى نهاية - البحر الميت من الجنوب (موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٦٤ نجر).

(٢) راجع المصدر السابق، د/ فيليب حتى: تاريخ لبنان ص ٨٢، د/ ثروت أنيس الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين - بنو إسرائيل ص ١٢٣، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٥٤ - ١٥٥، راجع بالتفصيل قاموس الكتاب المقدس ص ٦٨٥ - ٦٨٧.

(٣) فجر الضمير ص ٣٧٣.

(٤) العصور القديمة ص ٢٢١.

(٥) إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١٠٢ - ١٠٣ ترجمة د/ عبد الحميد يونس من المجلد الثاني من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون.

وقد أثر ذلك بدوره على اليهود بعد دخولهم أرضها ومحاولة استقرارهم في جزء منها.

يقول ول ديورانت "كان من حسن حظ فلسطين أو من سوء حظها أن تقع بين عواصم النيل وعواصم دجلة والفرات، وهذا الموقع قد جاء إلي هذه البلاد بالتجارة كما جاءها بالحرب. وكم من مرة ضيق على اليهود فلم يجدوا مخرجاً من ضيقهم إلا بالانضمام إلى الطرفين في الصراع القائم بين الإمبراطوريات الكبرى أو بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون، وكم من مرة اجتاحت المصطرعون بلادهم وكان من وراء الثروة، ومن وراء صراخ أصحاب المزامير والأنبياء وعويلهم وطلبهم الغوث من رب السماء، كان من وراء هذا كله موقع اليهود التي تتهدده الأخطار بين شقي الرحي من فوقهم دول أرض الجزيرة ومن تحتهم مصر^(١).

ومن الناحية الاقتصادية فقد كانت فلسطين فيما يرى المؤرخون أعظم سوق دولية وأكبر مركز تجاري عالمي^(٢).

وأما من الناحية الثقافية فقد امتزجت في فلسطين مدنيات مصر وبابل وفينيقية وبلاد ايجي وآسيا الصغرى على أسلوب لا مثيل له في الشرق القديم^(٣).

شعوب فلسطين:

يقول أولبرايت "كما كانت فلسطين معبراً بين القارات، كان أهلها دائماً خليطاً، ولا يحتمل البتة وجود فترة ما منذ بداية العصر الحجري القديم إلا مثلت فيها بفلسطين فصائل مختلفة من النماذج البشرية واللغات المتنوعة^(٤).

(١) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١٠٤، بريستيد: العصور القديمة ص ٢٢٠ - ٢٢١ د/
فؤاد حسنين على: فلسطين العربية ص ١٦ معهد البحوث والدراسات العربية قسم البحوث
والدراسات الفلسطينية ١٩٧٣.

(٣) بريستيد: العصور القديمة ص ٢٢١ فجر الضمير ص ٣٧٣.

(٤) آثار فلسطين ص ١٦٩.

وطوال العصور التاريخية أخذت أجناس شتى تستقر في فلسطين تضم عناصر سامية وعناصر أخرى غير سامية^(١).

فمن العناصر السامية كان يوجد الكنعانيون والأموريون والآراميون، وبجانبيهم كوكبة أخرى من القبائل السامية الصغرى كالأدوميين والمؤابيين والعمونيين. ومن العناصر غير السامية كان يوجد الحثيون والفلسطينيون^(٢).

وعلى ذلك فإن الإسرائيليين حينما دخلوا أرض فلسطين - في عصر يشوع وحاولوا الاستقرار بها في عصر القضاة، وكونوا مملكتهم الموحدة والتي انقسمت بعد ذلك - لم يكونوا من سكانها الأصليين وإنما طرأوا على هذه الشعوب السامية وغير السامية، واختلطوا بهم، وحدث بينهم صراع طويل انتهى إلى الفناء فيهم والامتزاج بهم، وكما يذكر سفر القضاة فسكنوا في وسطهم واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنينهم وعبدوا آلهتهم^(٣).

وكما يقول روبنسون "إن كل من استقر في هذه البلاد من الغزاة قد خلط دمه بدم هذا الشعب الخليط"^(٤).

أولاً: العناصر السامية:

ومن العناصر السامية التي كونت شعوب فلسطين يعتبر الكنعانيون هم أقدم وأول من أقام بأرض فلسطين^(٥).

(١) المصدر السابق ص ١٧٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) راجع الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص ١٨٣، ١٨٥، لانجر: موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٦٤، د/ فؤاد حسنين: إسرائيل عبر التاريخ ص ٦٨، د/ جمال حمدان/ اليهود انثروبولوجيا ص ١٠، وقد ذكر سفر القضاة أن هؤلاء الأمم قد تركهم الرب في البلاد ليمتحن بهم بني إسرائيل فسكنوا في وسطهم (قضاة ٣: ١ - ٥).

(٣) قضاة ٣: ٥ - ٦.

(٤) إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١٠٢.

(٥) راجع د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ ص ٦٨، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ١١١ وزارة الثقافة والإعلام العراق دار الرشيد بغداد ١٩٨١.

١- اتصال اليهود بالكنعانيين:

الكنعانيون في نظر التوراة:

ينسب كتبة التوراة الكنعانيين إلى كنعان بن حام بن نوح^(١) وقد تسني لهم أن يستبعدوا كنعان هذا من رحاب الأسرة النوحية بذلك الفصل الهازل الذي ختموا به سيرة أبيه ولونوا فيه اسم ذل النبي الجليل^(٢).

هجرة الخليل إبراهيم إلى كنعان:

يذكر سفر التكوين أن الرب أمر إبراهيم أن يخرج من أرض حاران إلى أرض كنعان فذهب إليها بصحبة لوط ابن أخيه، وساراي امرأته، وهناك التقى بالكنعانيين^(٣).

ثم حدث أن ارتحل إلى مصر^(٤) ولما خرج منها عاد إلى كنعان مرة أخرى وهناك أطلق عليه لقب العبراني^(٥).

وقد اختلف العلماء في تاريخ هذه الرحلة، وإن كانوا يرجحون أنها تمت في القرن التاسع عشر ق. م^(٦).

(١) "وبنوحام: كوش ومصر ايم وفوط وكنعان" راجع تكوين ١٠: ٦ أخبار الأيام الأول ١: ٨.
(٢) ورد في سفر التكوين أن نوحا شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام وياث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله لياث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم (تكوين ٩: ٢١ - ٢٧) ولا يخفي أن هذا الزعم وذلك التلفيق قد وضعوا بعد غزوة كنعان حتى يتسني للإسرائيليين تبرير استيلائهم على الكنعانيين ومحاوله النيل منهم، وإلا فما ذنب كنعان وأبوه هو الذي كشف عورة أبيه كما يزعمون، وما ذنب نوح أيضاً حتى يظهره في ثوب السكير العريء، ولمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع راجع عصام الدين حفني ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص ١٤ - ١٥.

(٣) تكوين ١٢: ١ - ٦.

(٤) تكوين ١٢: ١٤ - ٢٠.

(٥) راجع تكوين ١٣: ١ - ١٢ / ١٤: ١٣.

(٦) يذكر ول ديورانت أن رحلة الخليل إلى كنعان كانت حوالي ٢٢٠٠ ق. م (قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ - ٣٢٤، وهناك من يذهب إلى أنها تمت حوالي ١٧٥٠ ق. م (د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ٥٠ سلسلة مقارنة الأديان الطبعة الخامسة ١٩٧٨) والأرجح أنها تمت في منتصف القرن التاسع عشر أي حوالي ١٨٥٠ ق. م أو قبل ذلك بقليل (راجع صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٤٠، جورج رو: العراق القديم ص ٣٢٢ - ٢٢٣).

التحذير من الزواج بالكنعانيات:

وبالرغم من إقامة إبراهيم في كنعان ومعاشرته للكنعانيين إلا أنه يرفض - فيما روى سفر التكوين - أن يتزوج ابنة إسحاق من بناتهم^(١) واعتبرت التوراة أرض كنعان أرض غربة له ولبنيه^(٢).

وكذلك فعل إسحاق إذ دعا ابنه يعقوب وأوصاه أن لا يأخذ زوجة من بنات كنعان^(٣) لأنهن شريرات في عينه^(٤).

هجرة يعقوب إلي كنعان:

يقص سفر التكوين أن يعقوب بعد أن استقر في فدان آرام وتزوج وأنجب^(٥) هاجر إلي أرض كنعان هو وأسرته، وأقاموا في مدينة شكيم^(٦).

وهناك وقعت حادثة اغتصاب لابنته دينة من ابن رئيس شكيم^(٧) وظل يعقوب وبنوه في كنعان حتى هاجروا منها إلي مصر^(٨) وكان ذلك كما سبق أن أشرت في منتصف القرن السابع عشر.

(١) "وقال إبراهيم لعبده وكبير بيته فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذي أنا ساكن بينهم بل إلي أرضي وإلي عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق" تكوين ٢٤: ٢ - ٤ راجع تكوين ٢٤: ٢٧ - ٤١.

(٢) تكوين ٣٥: ٢٧/٣٧: ١.

(٣) تكوين ٢٨: ١.

(٤) تكوين ٢٨: ٧ - ٨.

(٥) راجع الإصحاحات ٢٩، ٣٠، ٣١.

(٦) تكوين ٣٣: ١٨ ومدينة شكيم التي هي نابلس الآن تقع شمال أورشليم جنوب شرقي السامرة.

(راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٥١٤ - ٥١٥)

(٧) يذكر سفر التكوين أن دينة بنت يعقوب خرجت لتنظر بنات الأرض، فرآها شكيم بن حور الحوي رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها، ثم تعلقت بنفسه بها، فأراد أن يتزوجها فذهب أبوه إلي يعقوب وعرض عليه الزواج منها فرفض يعقوب وإخوانها وقالوا إنه نجس دينة وهو أغلف فسيكون زواجه عاراً لنا، ثم وافقوا بعد أن اختتن شكيم وقومه، ولكن حدث - أن شمعون ولاوي ابني يعقوب هجما على مدينة شكيم وقتلا كل ذكر وقتلا حور وشكيم ابنه، وأخذوا أختيهما دينة، ثم جاء إخوتهم معهم ونهبوا كل ما في المدينة (راجع الإصحاح الرابع والثلاثين).

(٨) تكوين ٣٧: ١ / ٤٥: ١٧ - ١٨، ٢٥ - ٢٨ / ٤٦: ١ - ٧.

يذكر سفر العدد أن موسي أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان، وطلب منهم أن يقدموا له تقريراً مفصلاً عن أرض كنعان وعن الشعب الساكن بها^(١) وعاد هؤلاء الرجال بعد أربعين يوماً وقالوا إن الأرض تفيض لبنا وعسلاً، ولكنهم ذكروا أن الشعب الساكن بها معتز وأن مدنها محصنة تحصينا عظيماً^(٢)، فأحدث ذلك التقرير تدمراً عاماً بين الشعب، ورفضاً كاملاً لتعاليم موسي^(٣)، فكان أن عاقبهم الرب وبدأت مرحلة التية^(٤).

وتذكر الأسفار أن موسي حاول بعد ذلك الدخول إلى أرض كنعان ولكن محاولاته باءت بالفشل^(٥)، أو أن الرب - في زعمهم - قد غضب عليه فحرمه من دخولها، وسمح له فقط بالنظر إليها من بعيد قبل أن يموت^(٦).

ولكن إذا كان موسي لم يتمكن من دخول أرض كنعان فإنه - كما زعمت التوراة الحالية - وضع للإسرائيليين خطة لغزوها وأعد لهم نظاماً لتقسيمها^(٧).

يشوع وأرض كنعان:

كلف الرب يشوع بن نون أن يقود الشعب للدخول في أرض كنعان^(٨) فوضع نصب عينيه تلك الخطة التي وضعها موسي - حسب زعم التوراة -^(٩) وجاهد في

(١) عدد ١٣ : ١ - ٢٠.

(٢) عدد ١٣ : ٢١ - ٣٣.

(٣) عدد ١٤ : ١ - ٤.

(٤) تفصيل الحديث عن مرحلة التية في الباب الثاني في الفصل الخاص بفترات الاضطهاد - والتية التي تعرض لها اليهود.

(٥) عدد ٢٠ : ١٤ - ٢٩، وراجع أيضاً الإصحاحات ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ من نفس السفر.

(٦) تثنية ٣٣ : ٤٨ - ٢٥ / ٣٤ : ١ - ٦.

(٧) راجع الإصحاحات ٣٤، ٣٥، ٣٦ من سفر العدد.

(٨) يشوع ١ : ١ - ٧.

(٩) راجع الإصحاح السابع من سفر التثنية، والخطة كما يقول محمد عزة دروزة - توجيه نحو العدوان المباشر الهادف إلى إبادة السكان في غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة أنهم مشركون دونما اعدار أو إنذار ولا دعوة إلى سلم أو توحيد مما لم يكد التاريخ يسجل مثلها في الوحشية والقسوة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٠٠ - ١٠١).

تنفيذها رغم ما تحتوى عليه من قسوة ووحشية فبدأ بآبادة مدينة أريحا^(١) واستمر في حروبه ضد الكنعانيين حتى سقطت في يده إحدى وثلاثون إمارة لهم^(٢)، ثم شرع على أثر ذلك في توزيع أسباط بني إسرائيل على الأرض المحتلة^(٣)، وهو توزيع استمر مائعاً غامض الحدود إلى عهد المملكة اليهودية بعد ذلك بنحو قرنين ونصف من الزمان^(٤).

وهكذا يصور لنا سفر يشوع أن الإسرائيليين بقيادة يوشع قد تملكوا كل أرض كنعان وسيطروا على جميع الساكنين بها^(٥).

ولا شك أن هذا نوع من المبالغة والتزيد، أدى بكتابة السفر إلى الوقوع في

(١) أريحا: معناها مدينة القمر أو مكان الروائح العطرية وهي مدينة ذات أهمية عظمى تقع على مسافة خمسة أميال غربي نهر الأردن وعلى مسافة سبعة عشر ميلاً شمال شرقي أورشليم وأريحا التي ورد ذكرها في العهد القديم موضعها الآن تل السلطان الذي يقع على بعد مسافة ميل من مدينة أريحا الحديثة التي تدعى الآن "الريحا" (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨) وأريحا هي أول مدينة غزاها يشوع فكان المحاربون يطوفون حولها مرة كل يوم على مدى ستة أيام، وفي اليوم السابع طافوا حوله سبع مرات وضرب الكهنة بالأبواق فسقطت أسوارها وأحرقوها وحرّموا ما بها وقتلوا كل من فيها سوى راحاب الزانية التي خانت قومها وكذا بيت أبيها وأسكنوها في وسط إسرائيل لأنها خبأت الجواسيس الذين كانوا قد أرسلهم يشوع للتجسس.

(راجع يشوع الإصحاحات ٢ - ٦. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٧٩ - ٢٨٠ قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) يشوع ١٢: ٧ - ٢٤.

(٣) قام يشوع بتوزيع الأرض التي اغتصبها على أسباط بني إسرائيل ما عدا سبط رأويين وسبط جاد ونصف سبط منسي الذين سبق لهم أن أخذوا نصيبهم في الأرض التي اغتصبها الإسرائيليون بقيادة موسي شرقي الأردن وفي الأسفار تفصيل كامل لتوزيع هذه الأنصبة

(راجع سفر يشوع ١٣ : ١٥ - ٣٣/ ١٤/ ١٥/ ١٦/ ١٧، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ١٣٢ - ١٣٣، ل. توماس هولند كروفت: الأسفار التاريخية تعريب: أدبية شكري يعقوب دار الجليل للطباعة القاهرة من الدراسات الكتابية للكنيسة الرسولية ١٩٨٥، زكي شنودة: اليهود ص ٥٤ - ٥٨.

(٤) د/ حسن طاز: الساميون ولغاتهم ص ٧٩ - ٨٠.

(٥) راجع أيضاً يشوع ١١٢: ٢٣ فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسي وأعطاهها يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم واستراحت الأرض من الحرب.

التناقض، فهذه الصورة من الغزو العريض التي يرسمها السفر يوجد بين إصحاحاته ما يقضي على صحتها^(١).

بالإضافة إلى ما ورد في الأسفار لتالية وخاصة سفر القضاة^(٢) الذي يستدل منه على أن الإسرائيليين لم يسيطروا على أرض كنعان وأنهم لم يبيدوا الكنعانيين كما زعم كاتب سفر يشوع^(٣).

ويرجع الدكتور نجيب ميخائيل الخلط الذي وقع فيه هذا الكاتب إلى أن السفر كتب خلال الأسر البابلي، وأن ما يرويه على أنه تم في خمس سنوات قد استغرق قرنين ونصف من الزمان ليكتمل حدوثه فعلا، ذلك أن الإخضاع الكامل لكنعان لم يحدث إلا في عهد سليمان^(٤).

ولعل في بعد الشقة ما بين الأحداث وتسجيلها ما يشفع في هذا الخلط بل ما يشفع في المغالاة والتفاخر بما ارتكب من مجازر لم يكن لها من أساس إلا في أذهان مؤلفيها الذين شهدوها في بربرية الأشوريين والبابليين فخيّل إليهم أن أسلافهم مارسوا نفس - اللون من القهر والإذلال^(٥) ولذلك فإن المؤرخين يؤيدون ما ورد

(١) على سبيل المثال ورد في الإصحاح الثالث عشر "وشاخ يشوع فقال له الرب أنت قد شخت وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك هذه هي الأرض الباقية راجع ١٣ : ١ - ٤، راجع أيضا ١٣ : ١٥. ١٦/٦٣ : ١٧/١٠ : ١١ - ١٣ مما يثبت أن سكان أرض كنعان من الكنعانيين ظلوا في أماكنهم، وأن الإسرائيليين أقاموا في وسطهم، وأن أورشليم مثلا لم يتم الإستيلاء عليها إلا في عهد داود عليه السلام - (أخبار الأيام الأول ١١ : ٤ - ٨).

(٢) ورد في الإصحاح الأول من سفر القضاة أن بني إسرائيل سألوا الرب من يصعد إلى الكنعانيين لمحاربتهم (١ : ١ - ٧) وأن سبط بنيامين لم يطرد اليوسيين سكان - أورشليم وأقاموا بينهم (١ : ٢١)، وأن سبط افرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطهم (١ : ٢٩) وسكن الكنعانيون في وسط سبط زبولون (١ : ٣١) وكذلك الأشيريون (سبط أشير) سكنوا في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم وسط نفتالي سكن أيضا في وسط الكنعانيين وغيرهم من الشعوب واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنهم وعبدوا آلهتهم (٣ : ٥ - ٦).

(٣) يشوع ٣ : ١٠/٦ : ٢١ - ٢٤/٨ : ٢٦/١٠ : ٢٦ - ٣٣/١١ : ٦ - ٢٣.

(٤) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق ج ٣ ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٥) المصدر السابق ص ٢٨٤، ويتضح من مضمون سفر يشوع أن المعلومات التاريخية الواردة فيه من تخيلات أمة تضيفي على شخصية من الشخصيات بطولة لم يحلم هوبها مقلدة في ذلك الشعوب التي عاشت بينها، فلم يكن لدى بني إسرائيل بعد فترة التيه الاستعداد النفسي ولا العناد الحربي لمحاربة مدن محصنة تحصينا كاملا.

في سفر القضاة، ويذكرون أن الإسرائيليين حينما دخلوا أرض فلسطين وجدوا الكنعانيين يقيمون في مدن محصنة تطوقها الأسواق الضخمة فلم يستطيعوا أن يفتتحوها منها إلا المدن الضعيفة^(١) وأن أسباطهم لم يسيطروا إلا على الجبال والتلال والأراضي الفقيرة، وأن الكنعانيين بقوا في السهول الغنية يقفون لهم بالمرصاد ويحولون دون تقدمهم^(٢).

وأن القبائل الإسرائيلية بدأت في التسرب بين الكنعانيين والإقامة في وسطهم نتيجة حروب قبلية قامت بينهم وانتهت إلى مخالطتهم والامتزاج بهم كما ورد في سفر القضاة^(٣).

إذ أنهم لم يعتمدوا على جيش منظم، بل كانت كل قبيلة تسير وفقا لهواها تمارس ألوانا من السلب والنهب^(٤).

فلم يكن هناك إذن غزو أو فتح بالمعنى الصحيح والمفهوم لأرض كنعان أعقبه احتلال لها على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخا^(٥).

بل إن الإسرائيليين حاولوا الاستقرار في كنعان عن طريق التسلسل التدريجي الذي أخذ صورة تغلغل سلمى بطيئ فآدى إلى اندماجهم في السكان الأصليين، بجانب بعض الغارات القبلية التي كانت أشبه بحرب العصابات^(٦).

(د) محمد بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٧٠ مكتبة سعيد رأفت القاهرة ١٩٧٨م).

(١) بريستيد: العصور القديمة ص ٢٢٢ أولبرايت: آثار فلسطين ص ١١٥.

(٢) كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٣٣، د: جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ١١.

(٣) راجع الإصحاحات الأولى من السفر.

(٤) د/ ثروت أنيس الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين بنو إسرائيل ص ١٣١، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ٢٨٤. وكان يوجد بجانب مقاومة الكنعانيين للإسرائيليين التنافس الشديد بين الأسباط والتنازع على الإقامة في مكان بعينه واستتبع هذا التنافس طبعاً لفرق الأسباط وتشتهم وقد أدى ذلك إلى أن الاستيطان لم يكن جماعياً بل كان فردياً (د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ ص ٥٩).

(٥) غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٣٤.

(٦) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية الجزء الأول ص ١٩٥ موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص ١٤٠. د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل ص ٦٨ - ٦٩.

وعلى أي حال فقد اختلفت ألوان الصلات بين الكنعانيين والإسرائيليين باختلاف المواضع والنواحي التي التقوا فيها كذلك باختلاف الوضع القائم بينهما، وقد سجلت الأسفار أشكالا مختلفة وأطوارا سريعة متلاحقة من الصراع بينهما^(١).

بين الإسرائيليين والفينيقيين:

وإذا كان قد قدر لكنعان أن تلعب دورها في التاريخ بعيدا عن فينيقيا فإنه ما أن تمت السيطرة الكاملة على أرض كنعان بالكامل في عصر سليمان حتى بدأت صلات جديدة بين الإسرائيليين وبين الفينيقيين^(٢).

إذ ظلت المدن الفينيقية مستقلة في الجوهر واتباع الإسرائيليون نحوها سياسة قوامها العلاقات الودية، وكان ذلك يرجع إلى الموقف السلمي الذي وقفته تلك المدن، التي كانت منهمكة كل الإنهماك في التجارة ولم تكن لها مطامع سياسية^(٣).

وكان من أشهر هذه المدن مدينتا صيدا^(٤) وصور^(٥) وكانت صيدا في الأزمنة

(١) راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٢٨٩، وفي الفصل الخاص بخضوع الإسرائيليين للشعوب الوثنية سأعرض لامتزاج الكنعانيين بالإسرائيليين وتأثرهم بهم.

(٢) راجع المصدر السابق ج ٣ ص ٥٤، أولبرايت: آثار فلسطين ص ١١٠.

(٣) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص ١٢٤ - ١٢٥، وقد أسس الفينيقيون سلسلة من المستعمرات التجارية ومن أهمها مستعمرة قرطاجنة التي أسستها حكومة صور قرب نهاية القرن التاسع عشر ق. م (المصدر السابق ص ١٢٥، دي بروج: تراث العالم القديم ج ١ ص ٤٧).

(٤) ورد في سفر التكوين أن بكر كنعان بن حام - كان يسمى صيدون (١٠ : ٥) وذكر كونتو أن صيدون يمثل فينيقية كلها في شخص واحد ولذلك فقد كان اليهود يطلقون على الفينيقيين بأنهم أهل صيدا (الحضارة الفينيقية ص ٣٨٥ - ٣٨٦) ويرجع ذلك إلى شهرة مدينة صيدا وكثرة معابدها (ولفسنسون: تاريخ اللغات السامية ص ٥٧ - ٥٨، وقد اتصل بها اليهود وعبدوا آلهتها، ويمتد موقعها من ساحل عرضه نحو ميلين بين جبال لبنان والبحر المتوسط على بعد ٢٢ ميلا شمالي صور - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٦٥ - ٥٦٦).

(٥) صور: مدينة فينيقية شهيرة وهي قديمة جدا ولكنها أسست أو بلغت أهميتها بعد مدينة صيدا، وقد أقيمت صور وفق الشهادة القديمة على البرومع تقادم الزمن نقلت إلى الجزيرة الصخرية المجاورة فاشتق منها اسمها، وكثيرا ما ذكر الكتاب القدماء أنها قائمة في البحر (راجع اشعيا ٢٣ : ٧، ١٢ حزقيال ٢٦ : ١٧ / ٢٧ : ٣٢). ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣١٤، قاموس الكتاب المقدس ص ٥٥٩.

الأولى المدينة الفينيقية الهامة إلا أنها حوالي القرن الثاني عشر ق. م تخلت عن مركزها لمدينة صور^(١)، التي فاقتها في الشهرة والعظمة وكانت أقرب منها إلي بني إسرائيل^(٢).

ومن أشهر ملوك صور الملك حيرام (٩٨٠ - ٩٣٦ ق. م)^(٣) الذي كان - حسب قول التوراة - على علاقة طيبة بالملك داود^(٤).

وتطورت العلاقة إلي صداقة قوية بينه وبين الملك سليمان وتوجت تلك الصداقة بتوقيع تحالف تجارى بين المملكتين^(٥).

وصار هذا التحالف خطا سياسيا تقليديا التزمه من أتى بعد هذين الملكين^(٦).

فقد ظلت العلاقات قائمة بين الفينيقيين والإسرائيليين وازدادت مع مضي الزمن قوة حتى العصور المتأخرة وبخاصة أيام المملكة الشمالية^(٧).

(١) دي بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ٤٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٥٩.

(٣) الحضارة الفينيقية - كوتنتو ص ٧١.

(٤) ملوك أول ٥ : ١، أخبار الأيام الثاني ٢ : ٣.

(٥) ملوك أول ٥ : ٥ - ١٨، وكانت أورشليم قد أصبحت في عهد سليمان من أنشط الأسواق - التجارية في الشرق الأدنى، إذ أنشأ أسطولا تجاريا في البحر الأحمر وأغرى حيرام ملك صور على أن يستخدم هذا الطريق الجديد بدلاً من طريق مصر في تجارته مع العرب وإفريقية، وكانت الصداقة بين صور وإسرائيل مبنية على المنفعة المتبادلة فصور كانت فقيرة بالمحاصيل الزراعية بينما كانت إسرائيل بحاجة إلي المواد التي تنقلها التجارة البحرية (راجع ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٣٢، بريستيد: العصور القديمة ص ٢٢٤، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ : ٤ ص ٢٩٢، راجع أيضا تفاصيل العلاقات التجارية بين الفينيقيين والإسرائيليين في عصر سليمان في قاموس - الكتاب المقدس ص ٢١٢، ٣٣٠، كوتنتو: الحضارة الفينيقية ص ٧١ - ٧٣، موسكاتي: الحضارات السامية ص ١٤٣ - ١٤٤، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ص ٢٠٤ ومنها يتبين كما ذكرت الأسفار أن سليمان قد استعان بالصوريين في بناء الهيكل.

(٦) د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٦٤، والحقيقة الجديرة بالملاحظة أن البطون الإسرائيلية الشمالية مثل ياسكر وزبولون ونفتالي كانت أكثر اتصالاً بالفينيقيين منها بالقبائل الأخرى (تكوين ٤٩ : ١٣)، د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ ص ٧٠.

(٧) د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ ص ٧٠.

إذ أن عمري^(١) قد أقام علاقات ودية مع اثبعل^(٢) انتهت بزواج آخاب^(٣) من ايزابل ابنة اثبعل^(٤).

وبهذا الزواج توطدت الصلة بين آخاب والفينيقيين، ولكن إذا كان هذا الزواج قد أفاد الدولة الإسرائيلية من الناحيتين السياسية والتجارية^(٥)، فإنه كان له أسوأ الآثار وأخطرها من الناحيتين الاجتماعية والدينية^(٦).

وكان لهذا الزواج أيضا دور كبير في إقامة علاقات فينيقية مع دولة يهوذا، إذ أن يهورام ملك يهوذا قد تزوج عثليا^(٧) التي ساهمت في إدخال عبادة البعل إلى المملكة الجنوبية.

هذا وقد اتصل باليهود في فلسطين أيضاً عدة قبائل أو مجموعة من الطوائف تنسب إلى الكنعانيين^(٨) وهم:

-
- (١) سادس ملوك مملكة إسرائيل ومؤسس الأسرة الرابعة.
 - (٢) اثبعل ملك الفينيقيين وكان له إبي جانب لقب الملك كهانة عشتروت (الحضارة الفينيقية ص ٧٤).
 - (٣) آخاب بن عمري سابع ملوك إسرائيل.
 - (٤) ايزابل زوجة آخاب وكان لها دور كبير في نشر عبادة البعل بين الإسرائيليين وسيوضح ذلك عند حديثنا في الباب الثالث عن مظاهر تأثر اليهود في عبادة البعل.
 - (٥) فيما يرى كل من صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٣٤، وكاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٧٢، وإن كان الدكتور فؤاد حسنين يرى أن هذا الزواج يشير إلى مدى التبعية القائمة بين إسرائيل وفينيقيا (إسرائيل عبر التاريخ ص ٧٠، ويبدو أن المؤلفين يقصدون بالفائدة السياسية التي عادت على مملكة إسرائيل أن الزواج كان منقداً لإسرائيل من خطر الآراميين، كما يقول د/ نجيب ميخائيل إن فينيقيا كانت في الكفة المقابلة لدمشق الآرامية ولكي يتحاشي الإسرائيليون خطر الآراميين كان هذا الزواج (مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٣٥٨).
 - (٦) وسنفصل تلك الآثار عند ذكر مظاهر تأثر اليهودية بعبادة البعل (راجع حول ذلك التاريخ في الكتاب ص ٧٢ - ٧٣، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٣٤ - ٢٣٩ د/ حسن ظاظا: الساميون ص ٦٤).

- (٧) عثليا بنت آخاب من ايزابل وقد تولت الملك في يهوذا فترة من الزمن كما سبق.
- (٨) ذكرت هذه القبائل ضمن أولاد كنعان في قائمة انساب التوراة وعقب عليها الكتاب بقوله: "وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني" وهو قول يفيد أن هذه القبائل تجمعها الجامعة الكنعانية، وما يسوغ تصويب أرومتها الكنعانية أنها كانت تنزل في أرض كنعان ومن المحتمل أن تكون قد تميزت بميزة ما جعلتهم يذكرون منفردين أو أن تكون نسبتهم آتية من أسماء مدنهم (تكوين ١٠: ١٥ - ١٨، محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٤٧).

الفرزيون^(١)، واليبوسيون^(٢)، والجرجاشيون^(٣)، والحويون^(٤).

٢- اتصال اليهود بالأموريين:

لقد سبق أن ذكرت أن الأموريين أسسوا عدة دول في كل من بلاد الرافدين وبلاد سورية^(٥).

ويهمنا هنا الإشارة إلى وجودهم ضمن شعوب فلسطين حينما دخل الإسرائيليون أرض فلسطين فاحتكوا بهم وحدث صراع بينهم.

وكان الأموريون قد بلغوا من الأهمية والخطورة في فلسطين إلى الحد الذي كان يطلق اسمهم في بعض الأحيان على كل شعوب فلسطين ويطلق على أرض فلسطين أرض الأموريين^(٦).

(١) الفرزيون هم طائفة مهمة من الكنعانيين أحصيت مرارا مع قبائل فلسطين (تكوين ١٥ : ٢٠ خروج ٣ : ٨، يشوع ٩ : ١ وكانوا من سكان منطقة شكيم (يشوع ١١ : ٣) وفي بقعة أعطيت بعدئذ لافرايم ومنسي (يشوع ١٧ : ١٥) ويهوذا (قضاة ١٥ : ٤ - ٥) وقد سمح لهم بالتزاوج مع الإسرائيليين فجروهم إلى عبادة الأوثان (قضاة ٣ : ٥) راجع (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٥، زكي شنودة : اليهود ص ٥٠، محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٤٦).

(٢) اليبوسيون : اسم قبيلة كنعانية سكنت ييوس (الاسم القديم لأورشليم) والجبال التي حولها في أيام يشوع، تثنية ٧ : ١ / ١٧ : ١٧ [وقد سكنوا مع بني يهوذا وبنيامين (يشوع ١٥ : ٦٣) قضاة ١ : ٢١]، وعندما استولى داود على أورشليم ظلوا مقيمين بها حتى أخضعهم سليمان وبقوا في اليهودية إلى ما بعد الرجوع من السبي البابلي (عزرا ٩ : ١ - ٢)، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٥٢ - ١٠٥٣، د/ عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ص ٣٩ - ١٠.

(٣) الجرجاشيون : جمع جرجاش وقد وردت في صيغة المفرد (تكوين ١٠ : ١٦) وبصيغة الجمع كاحدى قبائل كنعان (تكوين ١٥ : ٢١)، تثنية ٧ : ١، يشوع ٣ : ١٠ / ٢٣ : ١١ نحemia ٩ : ٨ (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٥).

(٤) الحويون : هم أحد أجناس كنعان قبل غزو الإسرائيليين لها، قد شتتوا إلى عدة - جماعات، وكان مقرهم الرئيسي في سطح جبل لبنان من جبل حرمون إلى مدخل حماة - (تكوين ١٠ : ١٧، خروج ٣ : ١٧، يشوع ٩٤ : ١٠ / ١١ : ٣ قضاة ٣ : ٣ راجع الحديث عنهم بالتفصيل (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٩).

(٥) في الفصل الأول من هذا الباب عند الحديث عن ديانتهم ضمن الديانات الوثنية القديمة المصاحبة لنشأة اليهود على مدى تاريخهم القديم.

(٦) تكوين ١٥ : ١٦، عدد ١٣ : ٢٩، يشوع ٧ : ٧ / ٢٤ : ٨، قضاة ٦ : ١ عاموس ٢ : ١٠ راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٠، د/ فيليب حتى تاريخ سورية ج ١ ص ٨١.

بل أنه قد بلغ من انتشارهم وقوة تأثيرهم في أرض كنعان أن حزقيال^(١) حينما خاطب مدينة أورشليم على لسان الرب قال تلك الكلمة المشهورة "مخرجك ومولدك من أرض كنعان أبوك أموري وأمك حثية"^(٢).

إذ كان الأموريون في عصر إبراهيم أهم قبيلة في الأرض الجبلية في جنوب فلسطين^(٣).

ثم افتتحوا قبل خروج بني إسرائيل من مصر ما وراء الأردن من نهر أرنون في الجنوب إلى جبل حرمون في الشمال^(٤).

ويرى المؤرخون أن الأموريين كانوا في القرن الثالث عشر ق. م يسيطرون على المواقع الاستراتيجية ورؤوس التلال في سورية الجنوبية وأنهم أسسوا بعض المراكز التي تطورت فيما بعد فأصبحت تلك المدن الكنعانية الهائلة التي توقفت عند أسوارها وأبراجها القادمون الإسرائيليون^(٥).

وكانوا قد أقاموا مملكتين في شرق الأردن هما: مملكة سيحون، ومملكة باشان^(٦)، فهزم الإسرائيليون هاتين المملكتين واحتلوا أرضهما^(٧).

(١) حزقيال: اسم عبري معناه "الله يقوي" وهو أحد الأنبياء الكبار ولد ونشأ في فلسطين وربما في أورشليم في بيئة الهيكل اثناء خدمة النبي أرميا ثم حمل مع المسييين إلى بابل وعاش معهم وتنبأ هناك (راجع بالتفصيل قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠١ - ٣٠٢).

(٢) حزقيال ١٦ : ٣ راجع أيضا كونتنتو: الحضارة الفينيقية ص ٣٩٩، والحيثيون ستحدث عنهم ضمن العناصر غير السامية التي أقامت في بلاد فلسطين.

(٣) تكوين ١٤ : ٧، ١٣ (قاموس الكتاب المقدس ص ١١٩).

(٤) عدد ٢١ : ٣٦ - ٣٠، تثنية ٣ : ٨/٤، يشوع ٢ : ١٠/٩، قضاة ١١ : ٢٢، راجع زكي شنودة اليهود ص ٤٨.

(٥) د/ فيليب حتى تاريخ سورية ج ١ ص ٨١.

(٦) كان سيحون ملكاً للأرض الواقعة بين ارنون واليبوق، وكان الإسرائيليون قد طلبوا منه أن يمروا من أرضه وهم في طريقهم إلى كنعان إلا أنه رفض فاندلعت الحرب بينه وبينهم - وأما مملكة باشان فكان على رأسها ملك يسمى عوج راجع عدد ٢١ : ٢١ - ٣٤، قاموس - الكتاب المقدس ص ١١٩، د/ محمد مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ ص ٥١٤.

(٧) قاموس الكتاب المقدس ص ١١٩.

وفي عصر يشوع تم غزو الأموريين الذين كانوا يقطنون الأرض الجبلية في غرب فلسطين^(١).

ولكن الأموريين ظلوا أقوياء في أرض فلسطين حتى إن الإسرائيليين قد عقدوا معهم صلحا في زمن صموئيل^(٢)، حيث يفيد هذا أن الأموريين كانوا بدورهم محتفظين بكيانهم وسيادتهم في البلاد التي كانت في حوزتهم في شرق الأردن وغربه^(٣)، واستمر وجود الأموريين قائماً حتى عصر الملك سليمان^(٤)، وظل الإسرائيليون يذكرونهم ويتحدثون عن قوتهم في عصر عاموس^(٥).

٣- اتصال اليهود بالآراميين:

ينسب كتاب التوراة الآراميين إلى آرام^(٦)، ويذكرون عنه في موضع أنه أحد أبناء سام^(٧)، وفي موضع آخر أنه حفيد ناحور أخي إبراهيم الخليل^(٨).

ولذلك فإن العلماء يرجحون وجود صلة قرابة بين العبريين والآراميين^(٩)، هذا

(١) يشوع ١٠ : ٥ - ١٢.

(٢) صموئيل الأول ٧ : ١٤.

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٣٥.

(٤) ملوك أول ٩ : ٢٠ - ٢١، أخبار ثان ٨ : ٧.

(٥) ورد في سفر عاموس أن "قائمة العموريين مثل قامة الأرز وهو كالبلوط" فكان الأموريون أمة قوية شبهوا بأرز لبنان - وهو شجر يبلغ ارتفاع الواحدة منها أكثر من ثلاثين متراً وسمكها أكثر من متر، وكانوا أقوياء كشجرة البلوط أو السنديان، وتبدو قامات الأموريين في المباني الأثرية طويلة عسكرية - راجع سفر عاموس ٢ : ٩ القس عاموس عبد المسيح: دراسة في عاموس ترجمة: القس حارث قريضة الطبعة الثانية ١٩٧٩ ص ٨٩ - ٩٠، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٨٢.

(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢.

(٧) تكوين ١٠ : ٢٢، أخبار الأيام الأول ١ : ١٧.

(٨) تكوين ٢٢ : ٢٠ - ٢١.

(٩) ورد في العهد القديم ما يفيد وجود قرابة أكيدة بين الآراميين والعبرانيين، وأصل الاسمين اللذين يطلقان على ذلك الشعب قد اشتقا من (آرام وعبر) وقد كتب كل من الاسمين متجاورين في القوائم الخاصة بأبناء سام، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٤٣٢ - ٣٤٤، وجاء في سفر التثنية ٢٦ : ٥ أن يعقوب لقب مرة ب "الآرامى التائه" راجع تفصيل الحديث عن صلة القرابة بينها، د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٨٢، دايرنكر في كتاب "الأبجدية مفتاح تاريخ الإنسان نقلا عن عباس العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونانيين والعبريين ص ١٦، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ١٦١، د/ حسن أحمد محمود: العبرانيون من بحث (الساميون القدماء) ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

بالإضافة إلى مصاهرة كل من إسحاق ويعقوب للآراميين في فدان آرام^(١) وفدان آرام أو (آرام النهرين) تعتبر أقدم الدويلات الآرامية التي ظهرت على مسرح التاريخ^(٢).

ومن أشهر الدويلات الآرامية^(٣) التي عاصرها اليهود واتصلوا بأهلها:

آرام صوبا وآرام دمشق، إذ كان بينهما وبين الإسرائيليين صراع مرير أدى إلى حروب كثيرة ومناوشات مستمرة.

فقد كان الآراميون يمثلون تحدياً سافراً للإسرائيليين نتيجة العداوة التي استحكمت بينهم.

يقول ولفنسون "كان بنو إسرائيل من ألد أعداء الآراميين فقد ذكرت الأسفار كثيراً من أخبار الحروب التي نشبت بين بني إسرائيل وبني آرام، ومنها يتبين أن الحرب بينهما كانت سجالاتاً فطورية يكون الفوز لآل يعقوب وتارة يكون لطوائف الآراميين^(٤).

(١) راجع زواج إسحاق (تكوين ٢٤ : ١٠ - ٦١، زواج يعقوب تكوين ٢٨ : ٢ - ٤، ٢٩ : ١ - ٢٠، وفدان آرام اسم سامي معناه سهل آرام ويقع في رام النهرين والنهران هما دجلة والفرات وإن كان هناك من يرجح أنها الفرات ورافده خابور، وليس هناك - اختلاف يذكر بين آرام النهرين وفدان آرام (راجع تكوين ٢٤ : ١٠ / ٢٨ : ١ - ٢، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣، ٦٧٢، د/ محمد مهران: الجزء الثامن ص ٥٢٩.

(٢) د/ بولس عياد: الآراميون في مصر ص ٩، وفي نظر كريلنج أن اصطلاح آرام النهرين نشأ في القرن الثالث عشر، ولكن يرد على ذلك بأن هذا الاصطلاح ظهر في عصر مبكر منذ أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب كما أن هذا الاصطلاح ظهر في ألواح العمارنة : (المصدر السابق ص ٩).

(٣) ظهرت عدة دويلات آرامية في نفس الوقت الذي نشأت فيه مملكة في أرض إسرائيل وهذه الدويلات هي : ١ - آرام النهرين. ٢ - إمارة طوب (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣، د/ محمد بيومي مهران الجزء الثامن ٥٣٥ - ٥٤٢، راجع بتوسع د/ بولس عياد: الآراميون في مصر ص ٩ - ٢٤، ويذكر موسكاتي أن الآراميين قد بلغوا أقصى أهميتهم السياسية في القرنين الحادي عشر والعاشر ق. م وتوسعوا في فتوحاتهم ولكنهم لم ينظموا هذه الفتوحات ولم ينشئوا وحدة سياسية فعالة، وكان العامل الرئيسي في ضعفهم وانقسامهم إلى ممالك محلية صغيرة مع كثرة الأجناس المتباينة التي اختلطوا بها (الحضارات السامية القديمة ص ١٧٨).

(٤) تاريخ اللغات السامية ص ١١٧، ويرى المؤرخون أن الآراميين هم الذين كسروا شوكة إسرائيل.

فأما آرام صوبا^(١) فيظهر أن العداوة كانت على أشدها بين حكومتها وبين الإسرائيليين في عصر شاول^(٢).

وفي عهد داود كان الصراع شديداً بينه وبين حدد عزز ملك صوبة حتى إن الحرب كانت على ثلاث مراحل، وقد ساهم فيها معظم الدويلات الآرامية التابعة لصوبة وانتهت الحرب - بانتصار داود^(٣).

وعاد الصراع من جديد في عهد الملك سليمان، فقد كان رزون الآرامي أحد الناقمين على حكم سليمان وقام بالتمرد عليه وسبب إزعاجاً للإسرائيليين^(٤).

ومن الملاحظ أن صوبا بعد هذه الأحداث قلت أهميتها كثيراً واحتلت مكانتها آرام - دمشق أو مملكة دمشق^(٥) التي زاد من نفوذها انقسام مملكة العبرانيين إلى مملكتين بعد موت سليمان^(٦).

(١) صوبا أو صوبة كانت في أيام شاول وداود وسليمان مملكة عظيمة من أقوى ممالك آرام إلى غربي الفرات. صموئيل الأول ١٤ : ٤٧ / صموئيل الثاني ٨ : ٣ أخبار الأيام الثاني ٨ : ٣، وسماها الكتبة العبرانيون آرام صوبا (صموئيل الثاني ١٠ : ٦) وقد امتدت سلطتها يوماً حتى حدود حماة إلى الشمال الغربي (أخبار الأيام الثاني ١٨ : ٢، صموئيل الثاني ٨ : ١٠ ويرجح كربلنج أن مكانها الآن بلدة عنجر في البقاع جنوبي زحلة (راجع: قاموس - الكتاب المقدس ص ٥٥٨، شولتز: العهد القديم يتكلم ص ١٥٥، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٦٣، آرام وإسرائيل ص ٤٠ نقلاً عن د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ١٠٣).

(٢) راجع شولتز: العهد القديم يتكلم ص ١٧٨ - ١٧٩، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٦٣، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٣٤٩ - ٣٥١، راجع أخبار الأيام الأول ١٨ : ٣ - ١٩ / ٨ : ٦ / ٢٠ : ١. صموئيل الثاني ٨ : ٣ / ١٠ : ٦ - ١٨.

(٣) ملوك أول ١١ : ٢٣ - ٢٥.

(٤) راجع شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٠٤، محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٠.

(٥) كان داود قد أخضع مدينة دمشق، فلما ثار رزون على سليمان تمكن من السيطرة عليها وأسس المملكة السورية التي سميت بأرام دمشق، وقد حازت هذه المملكة على شهرة واسعة ونفوذ هائل خلال قرنين تقريباً على حساب إسرائيل، وكان من ملوكها حزبيون طبريمون وبنهيد وحزائيل ورحين (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٤٩٢، صموئيل شولتز: الهد القديم يتكلم ص ٢٢١ - ٢٢٢).

(٦) بلغت دولة دمشق ذروتها في العظمة والمنعة حوالي منتصف القرن الحادي عشر ق. م، وحالفها الحظ بانقسام مملكة العبرانيين إلى مملكتين حيث أخذت تؤلب إحداهما ضد الأخرى (راجع د/ فيليب حتى: موجب الشرق الأدنى ص ٨٢، بولس عياد: الآراميون في مصر ص ١٠، محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٢٨٢ - ٢٨٣).

وقد دارت بينهما وبين الإسرائيليين حروب طاحنة استمرت آمادا طويلة وأدت إلى خضوع مملكة إسرائيل للآراميين فترة من الزمان.

ورد في سفر الملوك الأول أن (آسا) ملك يهوذا لما علم بأن ملك إسرائيل (بعشا) يتهيأ لغزوه لم يجد من يلجأ إليه ويستنجد به سوى بنهدد ملك آرام، فجمع له كل ما في خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسلها إليه حتى يتدخل لحمايته، وفعلا بعد أن وصلت إليه تلك الرشوة أرسل جيوشه إلى ملك إسرائيل وقام بتأديبه حتى كف عن ملك يهوذا^(١).

وفي هذا دليل كاف على مدى ضعف المملكتين ومدى سيطرة دمشق الآرامية عليهما، وتمكنها منهما.

وفي عهد الملك عمري صارت إسرائيل ايلة تدفع الجزية لدمشق^(٢)، بل كانت سياسته العامة نابعة من وحي دمشق التي كان يهتمها تأمين اتصالها بالبحر الغربي، ولعل هذا يوضح أمر صراعها الدائم مع إسرائيل - وقد سلم عمري بتأثير هذا الضغط بضع مدائن إلى دمشق كما خصص أحياء معينة في السامرة نفسها للتجار الآراميين^(٣).

فيرى أن ابنه أخاب رفض دفع الجزية، وأراد أن يتحرر من ضغط دمشق فهاجمه ملكها وحاربه في عاصمته السامرة^(٤).

(١) راجع ملوك أول ١٥ : ١٧ - ٢٢، يذكر شولتز: أن هذا الإجراء رغم أنه حقق أغراض آسا إلا أنه في الواقع ساعد على - تصاعد نفوذ سوريا حتى أصبحت تهدد المملكتين وتتحكم فيهما (العهد القديم يتكلم ص ٢٢).

(٢) د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٨٢.

(٣) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ٨٥٣، ملوك أول ٢ : ٣٤.

(٤) ويذكر سفر الملوك الأول أن ينهدد ملك آرام أرسل إلى أخاب يقول له "لي فضتك وذهبك ولي نسائك وبنوك الحسان، فأجاب ملك إسرائيل وقال حسب قولك يا سيدي الملك أنا وجميع مالي لك (ملوك أول ٢٠ : ١ - ٤) راجع تفاصيل هجوم ملك آرام على السامرة في : ملوك أول ٢٠ : ١ - ٢١، د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق ص ٨٢.

وظلت الحرب قائمة بينهما حتى قتل أخآب على أيدي الآراميين^(١) واستمر الآراميون في الإغارة على مملكة إسرائيل، وإعلان حالة الحرب بينهما^(٢) ثم قاموا بحصار السامرة وتجويع أهلها، حتى اضطروا إلى أن يأكلوا جيفة الحمار وزبل الحمام، بل إن الجوع قد اشتد بهم حتى أكلوا أطفالهم^(٣).

وحينما تولى حزائيل^(٤) حكم آرام دمشق أخذ يناوش مملكتي اليهود معا فخرج إليه اخزيا ملك يهوذا ويهورام ملك إسرائيل، ولكنه هزمها وانتهت المعركة بأن أصيب ملك إسرائيل بجرح تسبب بعد ذلك في مصرعه^(٥).

وفي أخريات أيام يا هو ملك إسرائيل هاجم حزائيل مملكته من جميع تخومها واقتطع منها مساحات كبيرة^(٦).

وفي عهد يهوآحاز بن يا هو أخذ حزائيل أيضا يتحكم في الإسرائيليين ويضايقهم حتى أذهم إذلالا شديدا^(٧).

وامتد بسلطانه إلى مملكة يهوذا فاقتطع منها إحدى مدنها^(٨)، ولما توجه إلى غزو عاصمتها أورشليم، جمع ملكها يوأش كل كنوز الهيكل وأرسلها إليه حتى رجع عنها^(٩).

(١) ملوك أول ٢٢ : ٣١ - ٢٨.

(٢) ملوك ثان ٥ : ٢.

(٣) ملوك ثان ٦ : ٨ - ٩.

(٤) حزائيل: اغتصب الملك من بنهدد بعد أن قتله وأصبح من أقوى الملوك الذين عرفهم التاريخ حتى إن السيادة الآرامية امتدت حتى وصلت إلى فلسطين.

(٥) راجع قاموس ص ٣٠١، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٢٣، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٧٤).

(٦) ملوك ثان ٨ : ٢٨ - ٩ / ٢٩ : ٢٢ - ٢٤.

(٧) ملوك ثان ١٠ : ٣٢ - ٣٣.

(٨) ملوك ثان ١٣ : ٣، ٢٢.

(٩) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠١ (ومن صور هذا الإذلال أنه أطلق النار في حصونهم وقتل بالسيف شبانهم، وشق بطون حواملهم) (ملوك ثان ١٢ : ١٧ - ١٨).

(٨) هي مدينة جت وهي إحدى مدن الفلسطينيين الخمس وكانت مملكة يهوذا قد ضمتها إلى نفسها (راجع قاموس ص ٢٤٨).

(٩) ملوك ثان ١٢ : ١٧ - ١٨.

واستمر في فرض الجزية على يهوذا، ولكن يبدو أنهم تأخروا في دفعها فأرسل إليهم جيشه فهاجم أورشليم وقتل رؤساءها وأصاب ملكها وعاد قواده ظافرين بغنيمتهم إلى حزائيل^(١).

وبذلك يكون حزائيل قد تمكن من إخضاع المملكتين وإذلال سكانهما، وهذا يعني بسط سلطان الآراميين على اليهود مدة حكمه.

ولما تولى بنهدد بن حزائيل ظل مسيطرا على مملكة إسرائيل كل أيامه^(٢)، فأفنى منهم الكثير وداسهم كالتراب^(٣).

وفي عهد رصين^(٤) الذي تولى بعده - تحالف معه فقح بن رمليا ملك إسرائيل ضد آحاز ملك يهوذا، فسار إليه، وحاصره في أورشليم^(٥)، حتى تمكن منه، وضرباه ضربة شديدة، وسببها منه سبيا عظيماً وقُتِلَ من يهوذا في يوم واحد مائة وعشرون ألفاً^(٦).

٤. اتصال اليهود بدول شرق الأردن:

ومن العناصر السامية التي تكونت منها شعوب فلسطين اتصل اليهود بالقبائل أو الممالك الثلاث الصغيرة: الأدوميون، المؤابيون، العمونيون، والتي كانت تعرف بدول شرق الأردن.

الأدوميون:

ينسب كتاب التوراة الأدوميين إلى أدوم (عيسو) أخي يعقوب^(٧) فهم إذن أبناء عمومة بالنسبة للإسرائيليين.

(١) أخبار الأيام الثاني ٢٤ : ٢٣ - ٢٤، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) ملوك ثان ٣١ : ٣.

(٣) جاء في سفر الملوك الثاني "لأنه لم يبق ليهوا حاز شعباً إلا خسين فارسا وعشر مركبات، وعشرة آلاف رجل لأن ملك يرام أفناهم ووضعهم كالتراب للدوس" (ملك ثان ١٣ : ٧).

(٤) رصين: اسم آرامي معناه جدول ماء صغير تولى حكم آرام حوالي ٧٢٨ ق. م (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠٥).

(٥) ملوك ثان ١٦ : ٥.

(٦) أخبار الأيام الثاني ٢ : ٥ - ٦.

(٧) عيسو أو أدوم هو توأم يعقوب كما روت الأسفار، وكما ذكرت في الفصل الخاص بتاريخ اليهود، وكان بينهما - فيما تذكر الأسفار - تنازع دائم وهما في بطن أمهما، وعلى بركة إسحاق، وعلى البكورية.

ومن أجل ذلك فإنهم يعدون من أقرب العناصر دماء ولغة إلي بني إسرائيل لأنه لم يكن بينهم أقل فرق قبل أن يعتنق بنو إسرائيل ديانة موسى عليه السلام^(١).

واستوطن الأدوميون "أرض سعير" وقد اشتهرت بهم حتى أطلق عليها "أرض أدوم"^(٢) وكان حكام أدوم في البداية أمراء يشبهون رؤساء القبائل ولكنهم أصبحوا فيما بعد وقبل قيام مملكة إسرائيل يلقبون بالملوك^(٣).

وعلى ذلك فقد كانت للأدوميين مملكة مستقلة ضمن ممالك فلسطين قبل قدوم الإسرائيليين إليها.

ويذكر سفر العدد أن شعب إسرائيل بقيادة موسى قد طلب من ملك أدوم أن يأذن لهم في المرور في أرضه - وهم في طريقهم إلي كنعان - ولكن ملك أدوم رفض ذلك وخرج إليهم بجيش كثيف فتولوا عنه هاريين^(٤).

ومن ثم فقد تجددت العداوة بين الإسرائيليين والأدوميين^(٥).

(١) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص ١٠٤.

(٢) أرض أدوم هو الإقليم الذي كان يسكنه الأدوميون وكان يسمى أرض سعير ويقع ضمن جبال - شبه جزيرة سيناء في منطقة شايعة الأطراف تمتد شمالاً إلي تخوم فلسطين وجنوباً إلي البحر الأحمر، فكان بذلك في أقصى جنوب بلاد شرق الأردن، والجزء الشرق الآن من أدوم يقع في المملكة الأردنية الهاشمية (راجع تكوين ٣٢ : ٣ قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩ نوث نقلا عن د/ مهران جـ ٨ ص ٥٤٧، إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ١٠٥).

(٣) يذكر صموئيل شولتز أن للأدوميين في الواقع تاريخاً لامعاً وشهيراً ولكن المعلوم عنهم لا يتعدى البيان الموجز المذكور في سفر التكوين ٣٦ : ١ - ٤٣ والذي يتضمن الإشارة إلي ملوك متعددين حكموا أدوم - قبل أن يحكم ملك في إسرائيل (راجع شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٥٠ قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩ الشيخ نسيب وهيبه الخازن: من الساميين إلي العرب ص ٧٠ منشورات مكتبة الحياة بيروت).

(٤) عدد ٢٠ : ١٤ - ٢١.

(٥) ذكرت التوراة أن عيسو حقد على يعقوب حينما اغتصب منه بركة إسحاق وعزم على قتله فهرب منه يعقوب إلي فدان آرام، ولما عاد أرسل أدوم في أرض سعير ف جاء إليه ومعه أربعائة رجل فخاف منه يعقوب (تكوين ٢٧ : ٤١ - ٤٢ / ٣٢ : ٢ - ٨، ويذكر إبراهيم خليل أحمد أن التنافر المزعوم بين الأخوين قد أورد أبناءهما العداوة والكراهية "إسرائيل فتنة الأجيال: العصور القديمة ص ١١٠ مكتبة الوعي العربي القاهرة ١٩٦٩).

يقول إسرائيل ولفنسون: كان الاسرائيليون يعدون الأدوميين من ألد أعدائهم مع أنهم أقرب العناصر إليهم واستمرت المنازعات السياسة بينهم عدة قرون إلى أن انتهى النضال بفناء أهل أدوم أو اندماجهم في اليهود^(١).

إذ كان الأدوميون ممن يهددون المملكة الإسرائيلية في عصر شاول فقام بمحاربتهم^(٢) وأما داود فقد قام قائد جيشه (يؤاب) بغزوهم^(٣)، وبعد موت داود كان هدد الأدومي أحد المتمردين على سليمان^(٤)، واشترك الأدوميون مع العمونيين والمؤابيين في غزوهم لمملكة يهوذا في عهد يهو شافاط^(٥)، وقاموا بإعلان التمرد عليها والثورة على ملكها يهورام، - فثحرروا من سلطانه واستقلوا بمملكته^(٦).

وفي عهد آحاز قام الأدوميون بمهاجمة مملكة يهوذا وسبوا منها سبياً عظيماً، ولما عجز آحاز عن مقاومتهم استغاث بالأشوريين ليصدوهم عنه^(٧).

وبالرغم من مهاجمة أمصيا لهم في مملكتهم، وانتصاره عليهم، إلا أنه ضعف أمام أهلتهم فقد حملهم معه وعاد بها إلى أورشليم، وأخذ يتعبد لها^(٨).

ولم يستطع أمصيا إخضاعهم لحكم يهوذا، بل ظلوا مستقلين حتى تم تخريب أورشليم فأظهروا الشماتة في أهل يهوذا واشتركوا في نهب المدينة^(٩) وقاموا بالاستيلاء على ديار يهوذا الجنوبية^(١٠) وانتهت حياة الأدوميين القومية عام ١٣٠ ق.

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٠٥ ويُرجع ذلك إلى النفسية السامية التي قد تبغض الأقارب أكثر مما تبغض الأبعد ٢٢٢.

(٢) صموئيل الأول ١٤ : ٤٧.

(٣) صموئيل الثاني ٨ : ١٤، ملوك أول ١١ : ١٦.

(٤) ملوك أول ١١ : ١٤ - ٢٢.

(٥) أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ١، ٢٢، ٢٣، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠.

(٦) ملوك ثان ٨ : ٢٠ - ٢٢، أخبار ثان ٢١ : ٨ - ١٠.

(٧) أخبار الأيام الثاني ٢٨ : ١٦ - ١٧.

(٨) أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ١١ - ١٤، ١٩ - ٢٠، ملوك ثان ١٤ : ٧.

(٩) مزمو ١٣٧ : ٧ وقد تنبأ الأنبياء بتدمير أدوم وأعلنوا غضب الرب على الأدوميين من أجل اشتراكهم في نهب أورشليم (راجع أشعياء ٣٤ : ٥ - ١٥ أرميا ٤٩ : ٧ - ٢٢، راجع أيضاً عويديا وهو عبارة عن إصحاح واحد كله تنديد بالأدوميين).

(١٠) د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٦٠٧.

م حين أراد الملك – اليهودي يوحنا هر كانوس^(١) أن يزيل ما بينهم وبين اليهود من الفوارق الدينية فأرغمهم على الدخول في اليهودية^(٢) ولكنهم برزوا وتحكموا في اليهود بعد أن تولى هيرودوس حكم اليهودية من قبل الرومان، إذ كان من الأدوميين الذين دخلوا في اليهودية^(٣).

المؤابيون:

يرجع المؤابيون – في نظر كتبة التوراة^(٤) – إلى مؤاب بكر لوط عليه السلام^(٥) فهم بناء على ذلك من أقارب بني إسرائيل حيث كان لوط ابنا لأخي الخليل إبراهيم عليها السلام^(٦).

وأما موطنهم فإنهم قد أقاموا في منطقة أطلق عليها أرض مؤاب^(٧).

(١) من ملوك المكابيين.

(٢) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية: ص ١٠٥ الشيخ نسيب الخازن: من الساميين إلى العرب ص ٧٣.

(٣) سيتين دور هيرودوس الأدومي وأثره في تأثر اليهودية بالرومانية في الفصل الخاص بالاضطهادات التي تعرض لها اليهود ومنها الاضطهاد الروماني.

(٤) أورد سفر التكوين زورا وبهتانا – ضمن تشبعاته على الأنبياء – أن ابنتي لوط قد سقتا أباهما خمرًا واضطجعتا معه فأنجبتا منه ولدين وسمي ابن الكبرى مؤاب وابن الصغرى بن عمي (راجع تكوين ١٩ : ٣ – ٣٨) ومع ما في هذا الادعاء الكاذب من الإساءة إلى النبي لوط عليه السلام والخط من قدره إلا أن بيت القصيد – فيما يذكر عصام الدين حفني ناصف – أن المؤابيين والعمونيين طالت مقاومتها لبني إسرائيل ولبثا إلى زمن إدراج هذه القصة المخترعة في التوراة يناصبانهم العداء ويكيلان لهم الضربة تلو الضربة، فلم يجد اليهود مثلبة ينتقصون بها من مروءتها أعظم من رميها ووصمها بأنها أولاد زني (الأسطورة والوعي) ص ٦٤، ١٥٦، وقد بينا بطلان القصة من أساسها في كتابنا عن داود عليه السلام.

(٥) مؤاب اسم سامي ربما كان معناه من أبوه؟ ويطلق لفظ مؤاب أيضا على الشعب المؤابي، وعلى أرض المؤابيين (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٧).

(٦) تكوين ١١ : ٢٧ (لوط بن هاران بن تارح – أخي إبراهيم).

(٧) أرض مؤاب يقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن، وكان يحدها في الأصل أرنون شمالا ثم امتدت إلى الشمال في أرض الأموريين، وكانت منقسمة إلى قسمين (أ) أرض مؤاب أي ما وقع شرقي البحر الميت ويسمي أيضا بلاد مؤاب وهي سهل مرتفع يحده غربا سلسلة من الجبال (ب) عربات مؤاب وهي ما كان في وادي الأردن مقابل أريحا بين مصب ييوق والبحر الميت (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٧ – ٩٢٨).

وقد مر بهم الإسرائيليون بعد خروجهم من مصر، وهم في طريقهم إلى كنعان^(١) فأقاموا في شطيم^(٢)، وهناك كما قال السفر "وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب، فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهم"^(٣).

وكانت أرض مؤاب ضمن نصيب سبط رأوبين بعد أن سيطر عليها الإسرائيليون فأقام الراؤبيون مع المؤابيين وظلوا وراء عباداتهم الفاسدة^(٤).

وفي عصر القضاة رجحت كفة المؤابيين فأخضعوا بني إسرائيل وأذلّوهم وفرضوا عليهم الجزية مدة ثمانية عشر عاماً^(٥).

وفي عهد شاول احتّمى داود بمؤاب فراراً منه، وعهد إلى ملك المؤابيين بحماية أبيه وأمه وتركها أمانة لديه^(٦).

ولكن يذكر السفر أن داود بعد أن تولى الملك ضرب المؤابيين ضربة شديدة وصاروا له عبيداً^(٧)، هذا على الرغم من أن جدة داود كانت مؤابية^(٨).

وفي عصر الانقسام صارت مؤاب تابعة للمملكة الشمالية، واستمر ذلك حتى عهد أخاب، ولما علم المؤابيون بموت أخاب سارعوا بخلع نير الإسرائيليين عن

(١) راجع عدد ٢١ : ١١ - ١٣ وراجع محاولة ملك المؤابيين للوقوف في وجه الإسرائيليين سفر العدد أيضاً الإصحاحات ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) شطيم: خيم هام لبني إسرائيل أقيم في سهول مؤاب في شرق الأردن مقابل أريحا (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٠٩).

(٣) عدد ٢٥ : ١ - ٢.

(٤) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٨.

(٥) قضاة ٣ : ١٢ - ١٤.

(٦) صموئيل الأول ٢٢ : ٣ - ٤.

(٧) صموئيل الثاني ٨ : ٢.

(٨) وكانت تسمى راعوث راجع قصتها في سفر راعوث (أربعة إصحاحات) فقد أنجبت من بوعز عوبيد، وهو أبو يسي والد داود (راعوث ٤ : ١٣ - ١٧).

رقابهم، وأعلنوا التمرد عليهم والعصيان لهم، وأدى ذلك إلى نشوب معركة كبيرة بينهم انتهت بانهمزام إسرائيل^(١).

وبعد ذلك كانت مؤاب تارة خاضعة وأخرى مستقلة^(٢).

وفي عهد يهويا قيم^(٣) شارك المؤابيون في غزو يهوذا مع الكلدانيين والآراميين والعمونيين^(٤).

هذا وقد ظل المؤابيون حتى عصر السبي، إذ أظهروا شجاعتهم، وأعلنوا مسرتهم بعد أن لحقت المذلة باليهود وتم تخرب أورشليم^(٥).

العمونيون:

ينسب العمونيون - كالمؤابيين - إلى لوط عليه السلام على أنهم نسل ابنه الثاني - في زعم كتبة التوراة - بني عمي^(٦).

وبناء على هذا الزعم يكون العمونيون كالمؤابيين أقارب بني إسرائيل من جهة الخليل عليه السلام.

(١) روى هذا الحادث في الإصحاح الثالث من سفر الملوك الثاني، وتم العثور على نقش يرجع إلى عام ٨٥٠ ق. م سجل فيه هذا الحدث ولكنه يغير ما أورده سفر الملوك في بعض النقاط، وأشار إلى أن الحرب كانت بين ميشع ملك مؤاب وبين اخآب، وليس بعد اخآب كما ذكرت التوراة، وإن كان المؤرخون يرجحون ما ورد في النقش حيث إنه وثيقة تاريخية معاصرة للحدث، وأما الأسفار فقد كتبت في عصر السبي وعموما فإن النصين قد اتفقا على أن الحملة قد انتهت بهزيمة إسرائيل وحلفائها، ولكنهما يختلفان في أن النص التوراتي قد أطنب فيما أحرزته إسرائيل من نجاح بادئ ذي بدء بينما يمر النص المؤابي على ذلك مر الكرام، وأن التوراة تشير إلى النتيجة النهائية باختصار، راجع سفر الملوك الثاني: الإصحاح الثاني راجع تفصيل ذلك وترجمة النقش في إسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية ص ١٠٥ - ١١١. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ٣٥٩ - ٣٦١ د/ محمد بيومي مهران ج ٨ ص ٩١٩ - ٩٢٤، محمد عزة دروزة تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٩٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٨.

(٣) ملك يهوذا السابع عشر.

(٤) ملوك ثان ٢٤: ٢.

(٥) حزقيال ٢٥: ٨ - ١١ صفنيا ٢: ١١، ارميا: ٤٨.

(٦) راجع بداية الحديث عن المؤابيين.

وبالرغم من ذلك فلم تكن العلاقة بينهم علاقة سلم ومودة، وإنما كانت علاقة عداً وبغضاء^(١) فقد استقر العمونيون في أرضهم^(٢) حتى استولى الإسرائيليون على جزء منها، بعد أن خرجوا من مصر وفي طريقهم إلى كنعان^(٣).

وفي عصر القضاة حاول ملك بني عمون أن يسترد أرضهم المغتصبة فقام بغزو الإسرائيليين وتمكن من استعبادهم حتى صرخوا إلى الرب واستنجدوا بيفتاح حتى ينقذهم ودارت بينهم معركة كبيرة^(٤).

واستمرت حالة العدا والحرب قائمة بين العمونيين والإسرائيليين في عصر المملكة الموحدة فقد قام كل من شاول^(٥) وداود^(٦) بمحاربتهم.

وفي عصر الانقسام انتهب العمونيون فرصة ضعف يهو شافاط واشتركوا مع المؤابيين والأدوميين في هجومهم على مملكة يهوذا وحاولوا طرد اليهود منها^(٧). وكرروا هذا الهجوم أيضاً في عهد يهوياقيم^(٨).

(١) ورد في سفر التثنية أن الرب قد غضب على العمونيين لتحالفهم مع المؤابيين ولأنهم لم يلاقوا بني إسرائيل بالخبز والماء في الطريق عند خروجهم من مصر (تثنية ٢٣ : ٣-٦) وقد تحالف العمونيون أيضاً مع المؤابيين في ضرب إسرائيل في عصر القضاة (قضاة ٣ : ١٣) وجاء في سفر الأنبياء أن الرب قد غضب عليهم وأنزل عليهم لعناته لما قاموا به ضد الإسرائيليين راجع حزقيال ٢٥ : ٣-٧ ارميا ٤٩ : ١-٦ صفيانيا ٢ : ٨-١١ عاموس ١ : ١١-١٥.

(٢) كانت أرض العمونيين منطقة جبلية شرقي الأردن، وتمتد من نهر أرنون إلى ييوق وهي الآن في أواسط المملكة الأردنية الهاشمية، بل إن مدينة عبا عاصمتها قد أقيمت على بقايا عاصمة العمونيين ربة عمون (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٠ نوث نقلا عن د/ مهران : ص ٥٥٧).

(٣) قضاة ١١ : ١٣.

(٤) قضاة ١٠ : ٩، ١٧ / ١١ : ٤ - ٣٣.

(٥) راجع صموئيل أول ١١ : ١-١١. وفيه أن ناحاش ملك العمونيين قد أغار على يابيش جلعاد فاستنجدوا بشاول فخرج بجيش من بني إسرائيل وحارب ملك بني عمون.

(٦) تذكر الأسفار أن داود قد تصالح مع ناحاش ولما مات أرسل وفدا للتعزية فيه وتهنة ابنة حانون - الذي تولى الملك بعده - ولكن حانون أساء معاملة الوفد بعد ما أوعز إليه معاونوه بأن داود قد أرسله للتجسس على أرض عمون، وعلى أثر ذلك اندلعت الحرب بينه وبين داود (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٤، ٦٤٣، ٩٤٣، صموئيل الثاني ١٠، ١١).

(٧) أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ١-١٣.

(٨) ارميا ٤٩ : ١-٦.

وأما في عهد عزيا فقد اتصل بهم وتقبل منهم الهدايا^(١) ولكن ابنه يوئام حاربهم وأخذ منهم الجزية^(٢).

وتذكر الأسفار أن العمونيين قد احتلوا أرض بني إسرائيل بعد سبيهم إلى آشور^(٣) وتهكموا على اليهود بعد سبيهم إلى بابل^(٤) ولما عاد اليهود من سبيهم وقف العمونيون في وجههم وعارضوا إعادة بناء أسوار أورشليم^(٥) وظل العمونيون معاصرين لليهود حتى عصر المكابيين^(٦).

وهكذا وجدنا أن ممالك شرق الأردن الثلاث ظلت محتفظة بكيانها واستقلالها في أغلب مراحل التاريخ القديم، فاتصل اليهود بشعوبهم، ودار بينهم صراع وصيال.

ثانياً: العناصر غير السامية:

بجانب العناصر السامية التي تحدثت عنها كانت هناك عناصر غير سامية سكنت بلاد فلسطين قبل نزوح الإسرائيليين إليها، وظلت موجودة بها حتى عاصرهم اليهود واختلطوا بهم وتزاوجوا معهم، وكان من أبرز هذه العناصر: الحثيون، والفلسطينيون^(٧).

(١) أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٨.

(٢) المصدر السابق ٢٧ : ٥.

(٣) ارميا ٤٩ : ١ - ٦.

(٤) حزقيال ٢٥ : ١ - ٧، ١٠.

(٥) نحemia ٤ : ١ - ٧.

(٦) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٠.

(٧) هناك شعوب أخرى ضمن العناصر غير السامية مثل الحوريين والثيركر ولكنها ليسا على درجة كبيرة من الأهمية ولأن القول بأنهم غير ساميين لم يتأكد حتى الآن فقد قيل عن الحوريين أنهم هم الحويون وأنهم ساميون، وتفرعوا عن الكنعانيين.

أما الحثيون والفلسطينيون فهما غير ساميين بتحقيق العلماء والمؤرخين، يقول الدكتور فؤاد حسنين "إذ استثنينا الفلسطينيين والحثين فسكان البلاد (فلسطين) قبل نزوح الإسرائيليين إليها كانوا من الساميين" إسرائيل عبر التاريخ ص ٦٨ راجع أيضاً د/ نجيب ميخائيل ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧ =

١- اتصال اليهود بالحثيين:

لا يعرف على وجه التحقيق الأصل الذي ينتمي إليه الحثيون، وإن كان العلماء يرجحون أنهم آريون وأنهم فرع من فروع الشعوب الهند وأوربية^(١).

ومهما يكن من أمر فإن ما يعيننا هنا بالدرجة الأولى أن هناك إجماعاً على أنهم قدموا إلى بلاد فلسطين، وقطنوا بها، وعرفوا ضمن شعوبها، التي عاصرها اليهود واختلطوا بها^(٢)، والحثيون من الشعوب الهامة في تاريخ اليهود.

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن كلمة حثي وحثيين (مفرد وجمع) وردت ٤٧ مرة في العهد القديم، بينما وردت كلمة حث ١٤ مرة أخرى^(٣).

بل إن سفر التكوين قد أطلق اسم الحثيين بوجه عام على جميع سكان فلسطين من غير الساميين قبل مجيء الإسرائيليين، وذكر أن الحثيين أقاموا بفلسطين منذ

= وإذا كان قد ورد في سفر التكوين (١٠ : ١٥) أن ابن كنعان كان يسمى "حث" ويرى بعض شراح العهد القديم أن الحثيين يرجعون إليه فإن العلماء والمؤرخين قد استقر رأيهم على أن الكنعانيين ساميون وأن الحثيين غير ساميين وأصبحوا لا يعيرون اهتماماً لهذا الفهم (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٩، دي بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ٤٦، د/ محمد مهراڤ : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ ص ٥٨٦

(١) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن أصل الحثيين وتاريخهم راجع د/ حتى : موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٤٦ - ٤٧، تاريخ سورية ج ١ ص ١٦٦، بريستيد: العصور القديمة ص ١٠١ - ١٠٢، كونتنو: الحضارة الفينيقية ص ٣٩٨ - ٣٩٩. دي بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ٤٦ وما بعدها، د/ كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٢٣ - ٢٤، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق ص ٨٧ - ٨٩، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٤٤٦ وما بعدها.

(٢) راجع في ذلك كونتنو: الحضارة الفينيقية ص ٣٩٩ (يذكر كونتنو أن الحثيين نزلوا بلاد سورية حتى بلغوا قلب فلسطين وحتى كان أحد ملوك بيت المقدس في آخر الألف الثاني ق. م. يجمع اسماً حيثياً هو عيدي - هيبا - وامتزج بهؤلاء الحثيين من غير شك عناصر هندية - أوربية أو على كل حال عناصر غير سامية) راجع أيضاً د/ حتى : موجز تاريخ الشرق ص ٤٧، د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ ص ٦٨، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧، د/ محمد بيومي مهراڤ: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ ص ٥٨٦، زكي شنودة: اليهود ص ٤٨، د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٣٢٧ وما بعدها.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩٠.

عصر الخليل إبراهيم، وكانوا يسكنون بمدينة حبرون (الخليل)^(١) وورد فيه أيضاً أن عيسو قد اتخذ منهم زوجتين^(٢).

هذا وقد ذكر الحثيون أكثر من مرة ضمن الأمم المقيمة في فلسطين قبل دخول الإسرائيليين^(٣).

وحينما عاد الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا أرض فلسطين أخذوا يعدون شعوبها ويصفون موقع إقامتهم، فذكروا أن الحثيين يقطنون الجبال بجانب اليبوسيين والأموريين^(٤)، وبعد أن دخل الإسرائيليون أرض كنعان أو فلسطين اعتبروا الحثيين شعباً قوياً معروفاً واعترفوا لهم بأرضهم^(٥).

وفي عصر القضاة اتصل الإسرائيليون بالحثيين فسكنوا في وسطهم، واختلطوا بهم وتزاجوا معهم، فاتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنينهم وعبدوا آلهتهم^(٦).

وفي عصر المملكة الموحدة ازداد اختلاط الإسرائيليين بالحثيين حتى اتخذ داود منهم رفقاء له^(٧)، وجعل منهم من يحارب في جيشه^(٨).

وظل الحثيون يقيمون في فلسطين في عهد سليمان، فهم يذكرون ضمن الشعوب التي فرض عليهم السخرة^(٩).

(١) راجع تكوين ١٥ : ١٨ - ٢١ / ٣٢ : ٢ - ٢٠ راجع أيضاً د/ فيليب حتى تاريخ سورية ج ١ ص ١٦٩، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٤٤٦.

(٢) كان اسم الزوجة الأولى "يهوديت بنت بيري الحثي" واسم الثانية "بسمة بنت ايلون الحثي" راجع تكوين ٢٦ : ٣٤.

(٣) راجع تكوين ١٥ : ٢٠ / ٣ : ٨، تثنية ٧ : ١ / ٢٠ : ١٧، ٣ : ١٠ / ١١ : ١٣ : ٢٤ : ١١.

(٤) عدد ١٣ : ٢٦ - ٢٩.

(٥) يشوع ١ : ٤ راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩٠.

(٦) قضاة ٣ : ٥ - ٦.

(٧) صموئيل الأول ٢٦ : ٦ وكان من بين رفقاته أخبياً لك الحثي الذي اختبأ معه حينما هربوا من شاول.

(٨) صموئيل الثاني ١١ : ٦ - ٢١، ومن أبرز هؤلاء كان أوريا الحثي الذي حارب في جيش داود ضد العمونيين.

(٩) ملوك أول ٩ : ٢٠ - ٢١، أخبار ثان ٨ : ٧ - ٨.

بل إن سفر الملوك يذهب إلى أن سليمان قد تزوج بنساء حثيات^(١).

وقد بلغ من أهمية الحثيين وخطورتهم في فلسطين أن الأسفار تذكر ملوكهم في جملة واحدة مع ملوك آرام^(٢)، وتضعهم في مرتبة واحدة مع المصريين كدليل على عظمتهم^(٣).

بل إن حزقيال حينما خاطب مدينة أورشليم على لسان الرب مينا أصل فسادها وسبب انحرافها قال "أبوك أموري، وأمك حثية"^(٤).

٢- اتصال اليهود بالفلسطينيين:

اختلف في أصل الفلسطينيين، ومن المرجح أنهم ينتمون إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط الذين هاجروا إلى كنعان في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الثاني عشر ق. م^(٥).

وبناء على هذا الترجيح، واعتمادا على ما سبق من عرض لهجرات الشعوب

(١) ملوك أول ١١ : ١.

(٢) ملوك أول ١٠ : ٢٩، أخبار ثان ١ : ١٧.

(٣) ملوك ثان ٧ : ٦ - ٧ وقد وردت على لسان أفراد جيش الآرامي حينما سمعوا جلبة جيش إسرائيل "فإن الرب أسمع جيش الآراميين صوت مركبات وصوت خيل صوت جيش عظيم فقال الواحد لأخيه هوذا ملك إسرائيل قد استأجر ضدنا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا عليها" (راجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩٠).

(٤) حزقيال ١٦ : ١ - ٣.

(٥) يذكر المؤرخون أنه في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الثاني عشر ق. م غمر سواحل فلسطين أو كنعان فيض من شعوب البحر المشهورين في التاريخ القديم، من جزر شمال البحر المتوسط وشواطئه وخاصة من بحر ايجه وجزيرة كريت، وهذه الشعوب تنتمي إلى العرق الهندو أوري، ويبدو أنها شغلت كل السهل الساحلي لفلسطين، وأشهر هذه الشعوب هم الفلسطينيون الذي قطنوا المنطقة الساحلية في بلاد كنعان جنوبي الكرمل وكانت تمتد من غزة إلى يافا ولكنهم أخذوا يتوسعون بعد ذلك على حساب الكنعانيين راجع في ذلك أولبرايت: آثار فلسطين ص ١١٥ - ١٧٦، بريستيد: العصور القديمة ص ٢٢٣، د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٧، تاريخ لبنان من أقدم العصور إلى وقتنا الحاضر ص ١١١، ماسون أورسيل الفلسفة في الشرق ص ٣٤ - ٣٥.

الأخرى وتاريخ استيطانهم بأرض كنعان، فإن الفلسطينيين يكونون آخر الشعوب التي نزحت إلى بلاد كنعان وأحدث العناصر التي أقامت بها قبل الإسرائيليين.

ولعل ذلك قد ساهم في أن تعرف أرض كنعان بأرض فلسطين نسبة إليهم واشتقاقاً من اسمهم^(١).

وعلى الرغم من أن الفلسطينيين قد انتصروا على الكنعانيين، وهزموهم حينما نزلوا أرض كنعان إلا أنهم سرعان ما اندمجوا فيهم وامتزجوا بهم فتعودوا عاداتهم وتحدثوا لغتهم واقتبسوا من ثقافتهم^(٢).

(١) سميت فلسطين بهذا الاسم نسبة إلى الفلسطينيين وقد وردت في العهد القديم بلفظ "فلاشت" وفي المصادر الأشورية والمصرية باسم "بيلشتي أو بالاستو أو برنست" وقد عرب لفظ فلسطين من لفظ فلسطينا اليوناني الذي أصبح بالسنتيا، وكان يطلق أولاً على المناطق التي سكنها الفلسطينيون ثم أخذت المصادر اليونانية الرومانية تطلقه على جميع فلسطين الحالية وحتى شرقي نهر الأردن، وكان المؤرخ اليوناني هيرودوت هو أول من ذكر اسم فلسطين (راجع خروج ١٥ : ١٤، اشعيا ١٤ : ٢٩، د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبد التاريخ ص ٦٠، ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم ص ١٨، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٢٢٢، عبد الحكيم ذا النون: تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية ص ٤٥ - ٤٧ دار الكتاب العربي سورية ١٩٨٤م، ويقول الدكتور محمد بيومي مهران "وقد احتفظ التاريخ باسمهم على فلسطين وإن كان ذلك لا يرجع إلي أنهم قد أصبحوا غالبية السكان فيها أو أنهم قد بسطوا نفوذهم عليها جميعاً ولكن ربما لأنهم آخر من نزل بها، ولكثرة ترديد التوراة لاسمهم (دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن: إسرائيل ص ٥٩٤ - ٥٩٥).

(٢) راجع أولبرايت: آثار فلسطين ص ١١٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٢١٢ د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٢٢٥، ولعل اندماج الفلسطينيين في الكنعانيين جعل بعض الباحثين يميلون إلى أنهم ينتمون إلى الأصل الكنعاني، وأن هجرتهم من كريت كانت هجرة سامية راجعة مرتدة حيث عادوا إلى بلاد أجدادهم ثانية ليقفوا مع أشقائهم الكنعانيين (د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ٣١٠ - ٣١١، د/ محمد بديع شريف: مدخل لدراسة مطاعم اليهود في فلسطين قديماً وحديثاً ص ٤٦) معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣م.

ولكن د/ نجيب ميخائيل يعود فيذكر أن الإسرائيليين يشيرون إلى الفلسطينيين كقوم لا يحتنون (صموئيل الأول ١٨ : ٢٥) وهو اصطلاح ينأى بهم عن الساميين والمصريين معا (المصدر السابق ص ٣١١) هذا بالإضافة إلى أن جبهة العلماء والمؤرخين يرجحون أصل الفلسطينيين غير السامي مما يجعل القول بأنهم ساميون أمراً مستبعداً

ولا يعني هذا أن الفلسطينيين قد ذابت شخصيتهم، وضاعت هويتهم تماما في المجتمع الكنعاني، وإنما هم على العكس من ذلك قد احتفظوا باستقلالهم واستمسكوا بأرضهم واشتهروا بشجاعتهم وقوتهم، حتى إذا ما دخل الإسرائيليون أرض كنعان وجودهم أهل شدة وبأس، واعتبروهم عدوهم الأول ومنافسهم الأكبر ودار بينهم صراع طويل كانت الغلبة فيه ولمدة قرنين من الزمان للفلسطينيين^(١).

وقد كانت البداية حينما تحاشي الإسرائيليون الاحتكاك بالفلسطينيين وعدلوا عن الطريق التي تمر بهم وهم في طريقهم إلى كنعان خوفاً من بطشهم وجبروتهم: ورد في سفر الخروج "وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يدهم في طريق الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لثلاثين يوماً يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر.

وفي عصر يشوع وبالرغم من أنه هاجم مناطق متعددة من أرض كنعان إلا أنه لم يتجاسر على غزو الفلسطينيين ومات دون المساس بأرضهم^(٢).

وبعد أن مات يشوع هاجم سبط يهوذا أرض الفلسطينيين وسيطروا على بعض مدنها^(٣)، إلا أن الفلسطينيين سرعان ما استردوا هذه المدن، فتحالفوا مع العمونيين وسقط الإسرائيليون في قبضتهم^(٤).

(١) كانت أرض كنعان موطن الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين وقد ترك مصيرها للفريق الغالب، ويرجح العلماء تفوق الفلسطينيين إلى عدة مزايا: منها أنهم قد استوطنوا أغنى قطاع من أرض فلسطين إذ كانوا على السهل بجانب البحر على طريق التجارة بين مصر وما بين النهرين ومنها أنهم قاموا بتحصين مدنها الخمسة: غزة وأشقولون (عسقلان) وجت وأشدود وعقرون. بالإضافة إلى أنهم بجانب تطبعهم على الشجاعة والقوة قد أحضروا معهم عند استقرارهم في كنعان عرباتهم الثقيلة التي تجرها الثيران، واحتفظوا بأسرار صهر الحديد ولم يطلعوا الإسرائيليين عليها (إلا حينما علم الله داود صناعتها كما ورد في القرآن الكريم) وعلى ذلك استطاع الفلسطينيون أن يؤكدوا وجودهم ضد الإسرائيليين الذين لم يكونوا قد عرفوا الوحدة على أية حال (راجع كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ١٣٨ - ١٣٩، صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم ص ١٥٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٣١٤ د/ محمد مهران: الجزء الثامن ص ٥٨٥.

(٢) يشوع ١٣: ١ - ٣.

(٣) قضاة ١: ١٧ - ١٨.

(٤) المصدر السابق ١٠: ٧ - ٨ راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٣.

ويبدو أن الفلسطينيين قد سلموا الإسرائيليين للعمونيين وتركوهم بعد أن خلصوا مدنها^(١)، ثم حدث أن هاجم الفلسطينيون الإسرائيليين مرة أخرى وتمكنوا من إخضاعهم واستذلهم مدة أربعين عاماً^(٢).

ثم حاول الإسرائيليون أن يتخلصوا من نير الفلسطينيين فخرجوا إليهم للحرب أواخر عصر القضاة وفي عهد عالي الكاهن، ولكنهم ما إن بدأ القتال حتى بدأ ضعف الإسرائيليين وانكسارهم فقتل منهم أربعة آلاف رجل^(٣).

فاجتمع شيوخ إسرائيل لبحثوا سبب هذا الانكسار المروع، وانتهوا إلى أن يصطحبوا معهم تابوت عهد الرب حتى يكون في وسطهم ويخلصهم من يد أعدائهم^(٤).

وعادوا المهجوم وهم يهتفون خلف التابوت فخاف الفلسطينيون من هذا الهتاف ولكنهم تواصلوا قائلين بعضهم لبعض "تشددوا وكونوا رجالاً أيها الفلسطينيون لئلا تستعبدوا للبرانيين كما استعبدوا هم لكم"^(٥).

فحارب الفلسطينيون بكل شجاعة، وانكسرت إسرائيل مرة أخرى، وأخذ الفلسطينيون التابوت ثم أعادوه إلى الإسرائيليين بعد أن ظل في بلادهم سبعة شهور^(٦).

وحينما تولى صموئيل القضاء في إسرائيل جمع الشعب وأخذ يعظهم وينصحهم

(١) وقد ذكر سفر القضاة أن الإسرائيليين ظلوا تحت قبضة العمونيين ثمانية عشر عاماً حتى خلصهم يفتاح ولم يشر السفر هنا إلى الفلسطينيين (قضاة ١٠ : ٦ - ١٨ / ١١ : ١ - ٣٣).

(٢) قضاة ١٣ : ١.

(٣) صموئيل الأول: ٤ : ١ - ٢.

(٤) المصدر السابق ٤ : ٣.

(٥) المصدر السابق ٤ : ٤ - ٩.

(٦) صموئيل الأول ٤ : ١٠ - ٢٢ / ٥ : ٦ : ١ - ١٦ ولمزيد من معرفة تفاصيل هذه المعركة راجع

د/ ماير: حياة صموئيل النبي ص ٣٦ - ٤٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ سوربة ص ٣١٤ - ٣١٦.

بالعودة إلى الرب، وفي أثناء ذلك هجم عليهم الفلسطينيون واندلعت بين الفريقين معركة جديدة^(١).

وفي عصر المملكة الموحدة بدأ شاول حكمه بمهاجمة الفلسطينيين ولعل هذا الهجوم هو الذي جعل منه ملكاً^(٢).

ولكن الفلسطينيين عادوا فتسلطوا على الإسرائيليين وتمكنوا من إضعافهم، وذلك باحتكارهم صناعة الآلات والأسلحة الحديدية، فجردوا بني إسرائيل من أسلحتهم وكما ورد في السفر "ولم يوجد صانع في كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين قالوا لثلاثي يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً" "وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذي مع شاول"^(٣).

فكان هذا كفيلاً بترجيح كفة الفلسطينيين في الحروب التي خاضها شاول ضدهم^(٤).

وفي أخريات أيام شاول هجم الفلسطينيون على الإسرائيليين بجيش كثيف، لما رآه شاول خاف واضطرب قلبه جداً^(٥)، ودارت بينهما معركة ساخنة انتهت كما قال السفر بموت شاول وأبنائه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله معاً^(٦) وهرب الإسرائيليون من مدنها وقام الفلسطينيون باحتلالها^(٧).

(١) صموئيل الأول ٧ : ٣ - ١٤، ويشير السفر إلى أن الإسرائيليين بقيادة صموئيل قد هزموا الفلسطينيين وأذلّوهم ولم يعودوا بعد للدخول في تحم إسرائيل وهذا مخالف لما سنعرض له من الصراع بين شاول والفلسطينيين ومن الأسفار نفسها.

(٢) أولبرایت: آثار فلسطين ص ١١٦، غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات ص ٣٦، د/ نجيب ميخائيل المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢٤، ٣٢٢ وما يذكر أن ضغط الفلسطينيين على الإسرائيليين كان من أقوى العوامل لتجميع قواهم وإنشاء مملكة وتنصيب ملك عليهم.

(٣) راجع صموئيل الأول: ١٣ : ١٩ - ٢٢.

(٤) راجع صموئيل الأول ١٤ : ١ - ٤٦ / ١٧ : ١ - ١١.

(٥) راجع المصدر السابق ٢٨ : ١ - ٢ - ٤ - ٥ وقد لجأ شاول إلى الرب فلم يستجب له فلجأ إلى صاحبة الجان (صموئيل الأول ٢٨ : ٦ - ٢٤).

(٦) صموئيل الأول ٣٢ : ١ - ٦ ويقصد حرسه الخاص وأهل بيته.

(٧) المصدر السابق ٣١ : ٥.

وأما علاقة الملك داود بالفلسطينيين كما تصورها الأسفار فقد كانت متقلبة، فهو الذي قتل بطلهم جليات^(١)، وحينما طلب منه شاول أن يقدم له صداق ابنته مائة غلفة من الفلسطينيين سارع داود وقتل مائتين منهم وأتى شاول بغلفهم^(٢).

وخرج بعد ذلك لحربهم على رأس جيش حتى هربوا من أمامه^(٣)، ولكنه يلجأ إليهم ويحتمي عندهم ويقيم عندهم هو ورجاله وأهله مدة سنة وأربعة أشهر^(٤).

وليت الأمر يقف عند هذا الحد وإنما تشب معركة بين الفلسطينيين والإسرائيليين فيقاتل داود ورجاله في صفوف الفلسطينيين، وحينما يرجوه ملكهم أن يرجع - بعد أن اعترض رؤساء الفلسطينيين على مشاركته لهم يصصر داود على الوقوف معهم، ويعلن للملك أنه لا يليق به أن يتخلف عن مقاتلة أعداء سيده الملك^(٥).

وبعد أن تولى داود الملك ضاق الفلسطينيون بذلك، وأخذوا يغيرون على مملكته ويغزون أرضه وهو يرد غاراتهم ويصد غزواتهم، وانتهى الأمر بأن حاربهم في أرضهم، وتمكن من إخضاعهم^(٦).

ولكن على الرغم من انتصارات داود المتكررة على الفلسطينيين والتي حدثتنا عنها التوراة في سفر صموئيل الثاني - والتي إن لم تجعل الفلسطينيين تابعين لداود سياسيا فقد أجبرتهم على الاعتراف بسيادته على الجزء الأكبر من البلاد - على

(١) المصدر السابق ١٧ : ٣٢ - ٤٥، ولعل جليات هذا هو جالوت المذكور في القرآن الكريم، ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ البقرة: ٢٥١.

(٢) صموئيل الأول ١٨ : ٢٥ - ٢٧.

(٣) المصدر السابق ١٩ : ٨.

(٤) المصدر السابق ٢٧ : ١ - ٧.

(٥) المصدر السابق ٢٨ : ١ - ٢ / ٢٩ : ٢ - ١١.

وقد روى الإصحاح (٢١) من نفس السفر أن داود ذهب إلى الفلسطينيين قبل ذلك ولما عرفوه تظاهر بالجنون حتى طردوه (٢١ : ١٠ - ١٥).

(٦) صموئيل الثاني ٥ : ١٧ - ٢٥ / ٨ : ١ / ٢١ : ٢١ - ١٥ / ٢٢ : ٢٣ - ٩ : ١٧.

الرغم من ذلك فقد بقي الفلسطينيون في إقليمهم الصغير القوة الوحيدة التي لم يقدر داود أن يخضعها إن عاجلاً أو آجلاً^(١).

وإذا كان لا يرد ذكر الفلسطينيين في الأسفار كثيراً - بعد موت داود^(٢) - فليس يعني هذا أن صراعهم مع الإسرائيليين قد انتهى، وإنما استمر إلى عصر الانقسام.

ففي هذا العصر أخذوا يتحرشون ببني إسرائيل بعد سليمان في وقت مبكر فقام ناداب بن يربعام الأول ملك إسرائيل لمحاصرتهم^(٣).

وفي عهد يوشافاط ملك يهوذا اتصل به الفلسطينيون وقدموا له هدايا^(٤).

ولكننا نجدهم في عهد ابنه يهورام قد قاموا بغزو يهوذا ونهبوا ما فيها من الأموال والخزائن وسبوا كل أبنائه ونسائه ولم يتركوا إلا آحاز أصغر أبنائه^(٥).

ويبدو أنهم أخذوا يناوشون عزيا فخرج لمحاربتهم وتمكن من غلبتهم^(٦).

ولكنهم في عهد آحاز عاودوا هجومهم على يهوذا وقاموا بغزوها واقتحموا عدداً من مدنها^(٧).

وفي عهد حزقيال اندلعت الحرب بينه وبينهم ولكنه تمكن من ضربهم^(٨).

وهذا وقد عبر أنبياء بني إسرائيل عن العداوة المستحكمة بين الإسرائيليين والفلسطينيين فأخذوا يشنعون عليهم ويتنبأون بهلاكهم وتخريب أرضهم^(٩).

(١) نوث نقلا عن د/ مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى ج ٨ ص ٧١٢.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٤.

(٣) ملوك أول ١٥ : ٢٧، راجع محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل ص ١٩٣.

(٤) أخبار الأيام الثاني ١٧ : ١١.

(٥) المصدر السابق ٢١ : ١٦ - ١٧ وقد ورد في نفس الإصحاح أن إحدى المدن الفلسطينية قد تمردت على يهورام ٢١ : ١٠.

(٦) أخبار ثان ٢٦ : ٦ - ٧.

(٧) المصدر السابق ٢٨ - ١٨.

(٨) ملوك ثان ١٨ : ٨.

(٩) راجع أشعيا ١١ : ١٤، ارميا ٢٥ : ٢٠ / ٤٧ : ١ - ٧، صفنيا ٢ : ٤ - ٧، زكريا ٩ : ٥ - ٧.

و ظل وجود الفلسطينيين قائما و بقي عداؤهم للإسرائيليين مستمرا حتى
عصر المكابيين حيث إننا نراهم يخرجون مع انطيوخوس السلوقي في حملته
على يهوذا^(١).

(١) راجع المكابيين الأول ٣ : ٤١ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٤ .
راجع أيضاً سفر المكابيين الأول ٥ : ٦٨ / ١٠ : ٨٣ - ٨٩ ، ١١ : ٦٠ - ٦١

المبحث الثالث: اتصال اليهود بالفرس

سبق أن أشرت إلى أن مملكة إسرائيل قد زالت من الوجود بعد حدوث السبي الآشوري (٧٢٢ ق. م) وإلى أن مملكة يهوذا قد انتهت إلى الأبد بعد تدمير أورشليم ووقوع السبي البابلي (٥٨٦ ق. م)^(١).

وكان البابليون قد تغلبوا على الآشوريين، فورثوا عنهم إمبراطوريتهم ومنها بلاد فلسطين التي يسكنها اليهود، وحينما ضعف البابليون وانهارت دولتهم (٥٣٩ ق. م) برزت إلى الوجود إمبراطورية الفرس فأطاحت بالبابليين، وتولت قيادة العالم في الشرق الأدنى القديم.

وكان يتزعم هذه الإمبراطورية الملك كورش الثاني (٥٥٨ - ٥٣٠ ق. م)، وحين دخل بابل في (٥٣٩ - ٥٣٨ ق. م) وجد فيها جالية يهودية يعود أصلها إلى السبي على يد نبوخذ نصر في عامي (٥٩٧ - ٥٨٦ ق. م)، فسارع أي كورش إلى إصدار مرسوم ملكي يخول الذين يودون الرجوع إلى أرضهم الرجوع إلى أرض آبائهم (أورشليم) وإعادة بناء معبدهم حق العودة^(٢).

(١) لقد رأيت أن أفرد فصلاً خاصاً في الباب الثاني بفترات السبي والاضطهادات التي تعرض لها اليهود في تاريخهم القديم، على أنها أحداث خطيرة، وتتمثل خطورتها في أنها كانت من عوامل تأثر اليهود بالأديان الوثنية، ومن تلك الفترات: فترة السبي الآشوري، وفترة السبي البابلي.

(٢) راجع أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ٢٢ - ٢٣، عزرا ١ : ١ - ٤ / ٦ : ٣ : ٥، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٢٤٢، شاهين بك مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص ٣١، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٣٤٣.

ولم يكتف كورش بإصدار ذلك المرسوم فقط، وإنما مهد لهم سبل العودة وأمدهم بما يعينهم من مال وأمتعة^(١).

ومن الواضح أن كورش قد أظهر عطفاً على اليهود، ولا ندري هل فعل هذا من منطلق سياسة التسامح التي اتبعها تجاه الشعوب التي كانت في حوزته، أو أن ذلك كان اعترافاً بفضل اليهود الذين ساعدوه في احتلال بابل^(٢).

وأياً ما كان الأمر فإنه رغم سماح كورش لليهود بالعودة إلى أورشليم إلا أن أكثرهم من الأثرياء والشباب لم يتحمسوا - على حد تعبير ول ديورانت - لهذا التحرير، لأنهم كانوا قد تأقلموا في التربة البابلية وامتدت أصولهم فيها، فترددوا

(١) لقد قام كورش برد ما تبقى من خزائن البابليين من الذهب والفضة اللذين اغتصبهما بنوخ نصر من الهيكل، وأمر الجماعات التي كان اليهود المنفيون يعيشون بينها أن تعينهم بالمال الذي يحتاجونه في أثناء رحلتهم الطويلة إلى أورشليم (راجع عزرا ١ : ٥ - ١١، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٤).

(٢) يميل أكثر الباحثين إلى أن اليهود قد ساهموا في احتلال الفارسيين لمدينة بابل وأنهم استقبلوا كورش بالترحيب، واعتقدوا أنه هو المخلص المنقذ لهم على يد الرب الذي تتبأ به الأنبياء حتى أطلقوا عليه مسيح الرب، وأنه تأثر بذلك وتحرك بروح الرب (راجع اشعيا ٤٤ : ٢٨ / ٤٥ : ١، برستيد: العصور القديمة ص ٣٣٢، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢٤٢، ل. توماس هولدر كروفت: الأسفار التاريخية ص ٣٢٣ - ٣٢٤ أندري بارو: بلاد آشور ص ٢٠٦ د/ عبد الحميد زايد الشرق الخالد ص ٦٠٤، وهناك من يرى أن كورش قد فعل ذلك من منطلق المصلحة الخاصة لشعبه وإمبراطوريته متصوراً أن وجود طائفة يهودية في فلسطين تدين بوجودها لإحسانه سيشكل توازناً فعالاً تجاه الحزب الموالي للمصريين (راجع د/ حتى تاريخ سورية ج ١ ص ٢٤٢ ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك ٣ ص ٢١٥، وإن كان هناك من يذهب إلى أن فعل كورش كان من منطلق سياسة التسامح التي كانت طابع الحكومة الفارسية إذ كانوا يرعون عادات وأديان الشعوب الخاضعة لهم ويعملون على انعاشها (تج. هـ. إيليف: فارس والعالم القديم ص ٣٢ من كتاب تراث فارس نشر أربري)، ويذهب كل من اندريه إينار وجانين أبوابه إلى أن فعل كورش لم يكن تعبيراً عن كياسة سياسية وإنما كان اقتبالاً لديانة اعتبرت على غير مستوى (الشرق واليونان القديمة ص ٢٢٤)، ويرى بعض النقاد المحدثين أن كورش قد أبدى تعاطفاً خاصاً مع الديانة اليهودية لما بينها وبين ديانة الفرس من تشابه (لودرز ص ٨٨٥ نقلاً عن عبد الرحمن على عوف (عزير وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم ص ٤٤، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٧٤ م).

طويلاً في ترك حقوقهم الخصبة وتجارتهم الرائجة ليعودوا إلى القفار الخربة في المدينة المقدسة^(١).

وبعد هذا التردد استقر رأيهم - وهم الأغلبية الساحقة - على البقاء في بابل^(٢) وفضلوها على أورشليم^(٣)، وشكلوا أفراد ما عرف بالفلسطينيين "الدياسبورا" أي اليهود المقيمين خارج فلسطين أو يهود الشتات^(٤).

وأما الذين عادوا إلى أورشليم فكانوا من الكهنة المتحمسين، والفقراء المتدينين من سبطي يهوذا وبنيامين^(٥).

وكانت عودتهم تتم تدريجياً وفي فترات متباعدة على شكل أفواج متتالية.

فوج زَبَابِل:

فأما الفوج الأول^(٦) فكان في عام ٥٣٨ ق. م بقيادة زربابل^(٧)، ولأنه كان

(١) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٥، راجع أيضاً بريستيد: العصور القديمة ص ٢٣٣.

(٢) د/ فيليب حتى/ تاريخ سوريا ج ١ ص ٢٤٣، رينان: تاريخ شعب إسرائيل نقلاً عن ثروت الأسبوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين ص ١٣٤، ويك نقلاً عن د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ٩٢.

(٣) هناك من الباحثين من يذهب إلى أن زعماء المنفيين إنما كانوا يضعون بابل في مرتبة تفوق مرتبة أورشليم نفسها (راجع قول بارون نقلاً عن د/ محمد مهران: دراسات في تاريخ الشرق ج ٨ ص ١٠٣٥).

(٤) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤، ويذكر د/ حتى أن أغنياء المسييين قد فضلوا البقاء حيث هم بدليل ورود أسماء عبرانية بصورة متكررة في الوثائق التجارية لذلك العهد، وكان بعض هذه الأسماء مركبة من أسماء آلهة بابلية، وكانت أهم مراكز إقامتهم على قناة خابور التي تتفرع عن الفرات إلى الجنوب الشرقي من بابل.

(٥) رينان نقلاً عن ثروت الأسبوطي: المصدر السابق ص ١٣٤، زكي شنودة: اليهود ص ١٤٤.

(٦) ذكرت الأسفار أن الذين عادوا إلى أورشليم في الفوج الأول تحت قيادة زربابل كان عددهم اثنين وأربعين ألفاً وثلاث مائة وستين عزرا ٢: ٦٤ - ٦٧، نحميا ٧: ٦٦ - ٦٩، ويرى د/ فيليب حتى: أن هذا الرقم مبالغ فيه إذا ما قورن بمجموع المسييين (٥٨.٠٠٠)، كما أنه لا ينطبق مع ما جاء في القوائم المفصلة التي تسبق الجمع النهائي (راجع عزرا ٢: ٦٤ - ٦٧، نحميا: ٦٦ - ٦٩، د/ حتى تاريخ سورية ج ١ ص ٢٤٣).

(٧) زربابل: اسم أكادي معناه "زرع بابل" أو "المولود في بابل" وهو ابن شالنتيشل (عزرا ٣: ٢، ٨، نحميا ١٢: ١) راجع الحديث عنه بالتفصيل (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٥).

من بيت داود فقد تسلم من كورش الآنية المقدسة التي ردت إلى أورشليم وقام بتعيينه والياً على اليهود^(١)، وصارت اليهودية بذلك ولاية من ولايات فارس^(٢).

ولكن أفراد هذا الفوج - والأفواج التي تليه - لم يلقوا ترحيباً كبيراً في وطنهم القديم ذلك أن أقواماً آخرين من الساميين قد استقروا في تلك البلاد، وتملكوا الأرض بحق احتلالها والعمل فيها، وأخذت هذه القبائل تنظر بعين المقت إلى أولئك الذي خالوهم مغيرين على بلادهم وحقوقهم، ولولا تلك الدولة القوية (دولة الفرس) التي كانت تحمي اليهود العائدين لما استطاعوا أن يستقروا في فلسطين^(٣). فإن عودة اليهود ونشاطهم في سبيل استئناف حياتهم وإقامة هيكلهم في أورشليم جعلت شعوب البلاد القدماء يتحركون ويتألبون ويبدلون جهودهم في إحباط حركتهم والقيام بإزعاجهم^(٤).

وكان على رأس من وقف ضدهم وحال دون إقامتهم للهيكل: الساميريون^(٥).

(١) المصدر السابق ص ٢٥، شولتز العهد القديم يتكلم ص ٣٤٤.

(٢) شاهين مكاربوس: تاريخ الإسرائيليين ص ٣١ - ٣٢، وأطلق اسم اليهودية على القسم الجنوبي من فلسطين الذي سكنه العائدون من سبي بابل وسميت في العهد القديم ببلاد يهوذا وكانت حدودها الشمالية تمتد من يافا على ساحل البحر المتوسط إلى نفطة الأردن التي تبعد ١٠ أميال إلى الشمال من البحر الميت، وحدودها الجنوبية من وادي غزة إلى الجنوب الغربي من غزة فإلى بئر سبع فإلى القسم الجنوبي من البحر الميت (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٥).

(٣) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٥.

(٤) محمد غزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٧١.

(٥) الساميريون هم إحدى الفرق اليهودية، وترجع نشأتهم إلى النفرة التي أعقبت السبي الأشوري حيث أتى الآشوريون بقبائل من بلاد بابل وويلام وسورية وبلاد العرب لتحل محل الإسرائيليين المسيبين وأسكنوها في السامرة ومنطقتها فاختلفت هذه القبائل مع اليهود الباقين وامتزجت بهم وشكلوا تلك الطائفة والتي تسمى السامرة أيضاً، وقد حدث الإنشقاق النهائي بين السامريين واليهود العائدين إلى أورشليم في العصر الفارسي حينما أراد زربابل أن يضم المعبد فعرض عليه الساميريون الاشتراك معه في بنائه، ولكن اليهود العائدين رأوا أن الهيكل خاص بهم وأن هؤلاء السامريين وثنيون ورفضوا مشاركتهم فأخذ الساميريون يناوئوهم وأرسلوا شكواي إلى ملك الفرس حتى تعطل بناء الهيكل ولم يتم إعادة بنائه إلا في عام ٥١٥ ق. م كما سنرى.

ورد في سفر عزرا "أن أعداء يهوذا أو بنيامين لما سمعوا أن بني السبي يبنون هيكلًا للرب إله إسرائيل تقدموا إلى زربابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم بنبي معكم لأننا نظيركم نطلب إلهكم ... فقال لهم زربابل ويشوع^(١) وبقية رؤساء إسرائيل: ليس لكم ولنا بنبي بيتا لإلهنا ولكننا وحدنا بنبي للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس، وكان شعب الأرض يرخون أيدي شعب يهوذا ويدعرونهم عن البناء، واستأجروا ضدهم مشيرين ليبطلوا مشورتهم كل أيام كورش ملك فارس وحتى ملك داريوس ملك فارس^(٢).

فوج حجي وزكريا:

وحوالي سنة ٥٢٠ ق. م عادت جماعة من اليهود واستوطنوا أورشليم وما حولها تحت زعامة النبيين: حجي^(٣)، وزكريا^(٤) اللذين استنهضا هم الشعب ليحاولوا بناء

= وازداد العداء بين الفريقين على مر الزمن، وحرّم بينهم التزاوج والاختلاط ويختلف السامريون عن بقية اليهود في اعتقادهم بالأسفار الخمسة فقط وتختلف التوراة لديهم عن التوراة العبرانية، وهم يقدسون جبل جرزيم بدلاً من أورشليم
راجع الحديث عن تاريخهم وعقائدهم وتوراتهم بالتفصيل في د/ فيليب حتى / تاريخ سورة جـ ١ ص ٢١٤-٢١٥، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٨-٤٥٢، د/ عبد المنعم الحفني: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٥٥، وقد نشر د/ أحمد حجازي السقا نص التوراة السامرية وقام بتحقيقه وبيان الفروق بينهما وبين التوراة العبرانية وقد تحدثنا عنها عند الحديث عن نسخ التوراة المتعددة (دار الأنصار القاهرة ١٩٧٨).

(١) يشوع هذا من أبرز معاوني زربابل وكان مشرفاً على أعمال الكهانة والنواحي الدينية ويسمى يشوع بن يهو صاداق (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧١).

(٢) عزرا ٤ : ١-٥ والملك داريوس هو الملك دارا الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق. م) (د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق ص ٢١٩).

(٣) حجي: اسم عبري معناه "عيد" أي مولود في يوم عيد وهو نبي معاصر لزكريا وتنبأ بعد الرجوع من بابل، وساهم في إنهاء الشعب للشروع في إعادة بناء الهيكل (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩١).

(٤) زكريا: اسم عبري معناه "يهو قد ذكر" وتسمى بهذا الاسم اثنان وثلاثون شخصاً في الكتاب المقدس.

وزكريا المقصود هنا هو زكريا بن برخيا بن عدو، ويحى ترتيبه الحادي عشرين الأنبياء الصغار، ويظهر أنه كان من نسل لاوي ولذلك كان مستحقاً وظيفة كاهن ونبي وقد تنبأ زكريا في عصر داريوس وساهم في تقوية عزائم الشعب الضعيفة وإنهاض هممه الساقطة وخاصة في إعادة بناء الهيكل الفارسي (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٨)، ومن الأهمية أن أذكر أن زكريا هذا ليس هو سيدنا زكريا عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم.

الهيكل من حديد بسبب استمرار معاكسة جيرانهم، إلى أن أرسلوا إلي داريوس يرجونه في إعادة بناء الهيكل معتمدين على مرسوم كورش، فاهتم داريوس بالأمر، ولما عثر على هذا المرسوم ضمن وثائق الدولة، أصدر مرسوماً جديداً بإعادة البناء، ومد لهم يد العون والمساعدة، وأزال كل ما يقف في طريقهم من عقبات وعثرات فتم بناء الهيكل من جديد عام ٥١٥ ق. م.^(١)

عودة نحميا وعزرا إلي أورشليم:

ساد الغموض الفترة التي تلت إعادة بناء الهيكل (٥١٥ ق. م): ف بجانب أن الأسفار قد التزمت الصمت إلي درجة أنه لا يعرف حتى الآن مصير زربابل^(٢) نجد أنها ذكرت بعد ذلك أن عزرا الكاتب رجع على رأس فوج إلي أورشليم في السنة السابعة من حكم أرتخشستا ملك فارس^(٣).

(١) راجع عزرا ١: ٥ - ١٧/٦ - ١: ١٥، حجي ٢، ١ صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم ص ٣٤٦ - ٣٤٧، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ٩٧، و. أ. ل. المسلي: سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص ٦٤٤ ترجمة فؤاد أندراوس المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم: نشر جون هامرتون، وجاء في القاموس أن هذا الهيكل سمي بهيكل زربابل أو الهيكل الثاني، وبالرغم من أنه كان أضخم من الهيكل الأول (سليمان) إلا أنه كان أقل منه في الفخامة وفي التكلفة، وأن قدس الأقداس كان خالياً لأن تابوت العهد قد اختفى، وأن هذا الهيكل قد بقى خمسة قرون (ص ١٠١٤).

(٢) لا يعرف حتى الآن المصير الذي انتهى إليه زربابل حيث اختفى فجأة من مسرح الأحداث بسبب لا يزال موضع خلاف بين الباحثين فالدكتور المسلي يرجح أن اختفاه يرجع إلي ازدياد الخصومة وتفاقم الصراع بينه وبين الكهنة وانتهى الأمر لصالح الكهنة (سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص ٦٤٤ مجلد ٣ تاريخ العالم).

وقيل أن حاكم السامرة المعاصر له قد وشى به لدى ملك الفرس فتم عزله، إلي غير ذلك من وجوه الحدس والتخمين (راجع د/ مهرا ن ج ٨ ص ١٠٤٧ - ١٠٤٨).

(٣) عزرا ٧: ٨ يرجع نسب عزرا حسب ما ورد في سفره إلي هارون (٧: ١ - ٥) ولأنه كان مقرباً من الملك ويعمل مستشاراً له في شئون الطائفة اليهودية، فقد طلب منه أن يسمح بعودة فوج ثالث إلي أورشليم، فوافق الملك وأمده بكل ما يلزمه من مال ومعونة وفي الإصحاح الثامن من سفره إحصاء للعائدين معه إلي أورشليم، وقد بلغ مجموع ذكورهم ألفاً وثمانمائة، ويفيد الإصحاح أنه ظل كثير من سبي إسرائيل ويهوذا حيث هم في المنفى ولم يعودوا مع عزرا إلي أورشليم والأغلب أنهم اندمجوا في حياة العراق الدينية والسياسية والاجتماعية.

وأن نحميا الحاكم عاد أيضاً إلى أورشليم في السنة العشرين من حكم أرتخشستا وقام ببناء أسوار أورشليم^(١).

دون أن تحدد لنا هل هو نفس الملك أو غيره^(٢)، ففهم العلماء القدامي من المفسرين والمؤرخين أنه هو نفسه، وحينما تبين أن سنوات حكمة تمتد من (٤٦٥ - ٤٢٤ ق. م)^(٣) وأن عودة نحميا تحت في (٤٤٥ ق. م)^(٤)، وعلى ذلك يكون عزرا قد وصل إلى أورشليم قبل نحميا اعتماداً على هذه الاستنتاجات.

= ولقد لقب عزرا بالكاتب، وعرف لدى اليهود بإخلاصه ونشاطه في سبيلهم فحاز ثقتهم وإعجابهم، ويعرف لدى الكثيرين بأنه مؤسس اليهودية حيث يرجع إليه الفضل في جمع الأسفار وإعادة ترتيب الشريعة وتفصيل ذلك في الفصل الخاص بفقدان التوراة المنزلة على سيدنا موسى وهو الفصل الثاني من الباب الثاني.

راجع عزرا ٧، ٨ قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١، صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم ص ٣٥٥ - ٣٥٧، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ٩٧ - ٩٨، ل. توماس هولدر كروفت: الأسفار التاريخية ص ٣٣٦ - ٣٣٧، محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٧٤. (١) نحميا ٢: ١/ ٥: ١٤.

ويسمي نحميا بن حلوكيا، وتذكر الأسفار أنه كان من اليهود المسبيين في بابل واشتغل في بلاط الملك الفارسي ساقياً، وشاهده الملك ذات يوم حزناً، ولما سأله أخبره بأنه حزين للحالة التي وصل إليها أورشليم من الدمار والتخريب وأن أهله هناك يعيشون في شر عظيم، ورجا الملك أن يسمح له بالعودة إليها وبناء أسوارها، وإعادة الحياة إلى بيوتها وأحيائها الراكدة فوافق الملك وأرسل معه حامية عسكرية لحراسته ومعاونته وعينه حاكماً على ولاية اليهودية.

وحين ويصل إلى أورشليم أخذ يفحص الأسوار المتهمة سراً في الليل، ثم دعا اليهود للقيام بعمل سريع، فاستجابوا له لقوة شخصيته وللتفويض الملكي الذي يحمله، وعارضه السامريون وغيرهم من الشعوب المقيمة في فلسطين، ولكنه تغلب عليهم وتم بناء الأسوار في اثنين وخمسين يوماً، وظل نحميا بحكم اليهودية حتى عام ٤٣٣ أو ٤٣٢ حيث عاد إلى شوشن عاصمة القرن ولكنه ما لبث أن رجع إلى أورشليم مرة أخرى، ويذكر المسلي أن نحميا قد أثبت طول باعه في ميدان السياسة والحكم. راجع سفر نحميا ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ١٥ قاموس الكتاب المقدس ص ٩٦٢، شولتر: العهد القديم يتكلم ص ٣٥٩ - ٣٧١، سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص ٦٤٥ - ٦٤٦.

(٢) سمي بهذا الاسم ثلاثة من ملوك الفرس في هذه الفترة (أرتخشستا الأول (٤٦٥ - ٤٢٤ ق. م) (أرتخشستا الثاني ٤٠٤ - ٣٥٩ ق. م) (أرتخشستا الثالث ٣٥٩ - ٣٣٨ ق. م) د/ نخري: دراسات في تاريخ الشرق ص ٢٢٢ - ٢٢٥).

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٤) راجع منهم على سبيل المثال: كاترين هنري التاريخ في الكتاب ص ٩٨، صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم ص ٣٥٥ - ٣٥٩: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١، ٩٦٢، زكي شنودة: اليهود ص ١٤٧، ١٤٨، شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص ٣٢.

يقول د/ فيليب حتى ذكرت مرويات التوراة التي قبلها عدد متزايد من العلماء أن عزرا الكاهن والكاتب قد رجع إلى أورشليم قبل نحemia ليصلح ديانة الشعب برخصة من الملك وكما كان يهدف إلى إيجاد عقيدة دينية نقية فإنه كان يهدف أيضاً لإيجاد نقاوة العنصر^(١).

إلا أن كثيراً من العلماء المعاصرين والنقاد المحدثين^(٢) قد اتفقوا على أن عودة عزرا إلى أورشليم كانت بعد عودة نحemia، وإن اختلفوا في تعيين الملك الذي عاصره كل منهما.

فبينما ذهب فريق إلى أنهما قد اجتماعاً معاً في عصر أرتخشستا الأول (٦٤٥ - ٤٢٤ ق. م) يرى فريق آخر أن مهمة نحemia تمت في عصر أرتخشستا الأول وأن مهمة عزرا تمت في عصر أرتخشستا الثاني (٤٠٤ - ٣٥٩ ق. م).

فمن الفريق الأول يؤكد كل من سيسيل روث ودانيال رويس ويونج أن مهمة عزرا جاءت بعد مهمة نحemia وأن أحداثاً نحemia تسبق بالضرورة أحداث عزرا إلا أنهم لا يمانعون أن يكون الاثنان قد عاشا في عصر واحد فربما ذهب عزرا أثناء تأدية نحemia لمهمته^(٣).

ويتفق معهم شيني ويرجح قيام عزرا بمهمته بين رحلتي نحemia لأورشليم^(٤).

(١) د/ فيليب حتى / تاريخ سورية ص ٢٤٥.

(٢) ومن هؤلاء: سيسيل روث، ودانيال رويس، وابالين، وبونج، وفايفر، وشيتي (راجع عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم ص ١٦٦ - ١٦٩، ومارتن نوث وستانلي كوك ووليم أولبرايت وجاك فنجان، ورولي وغيرهم (د/ مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ ص ١٦٠).

ود/ و. ا. ل. المسلي (دكتور في اللاهوت وأستاذ العبرية وأدب العهد القديم بكلية وسنمستري في مقاله "سقوط أورشليم وأهميته العالمية" من المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون، والدكتور نجيب ميخائيل (مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣).

(٣) نقلاً عن رسالة الماجستير (عزيز وعزرا ص ١٦٧ - ١٦٨).

(٤) المصدر السابق ص ١٦٨، وقد ورد في سفر نحemia أن نحemia قد غادر أورشليم ثم عاد إليها مرة أخرى في السنة الاثنتين والثلاثين من حكم الملك ارتخشستا فحدثت بعام ٤٣٢ أو ٤٣٣ ق. م (نحemia ١٣: ٦ - ٧).

ومن الفريق الثاني أبا ايبن، والدكتور نجيب ميخائيل ومعهما آخرون^(١) الذين رأوا أن نحμία وصل إلى أورشليم في عام ٤٤٥ أو ٤٤٤ ق. م وأن وصول عزرا قد تم في عام ٣٩٧ ق. م^(٢).

ويدلل أبا ايبن على ذلك بقوله أنه لا يحتمل أن يكون نحμία وجد عدد السكان قليلا عندما وصل إلى يهوذا في حين وجد عزرا هذا العدد كبيراً وهذا دليل على أن نحμία وصل قبل عزرا وبأشر نشاطه السياسي والإداري قبله في حين قام عزرا بإصلاحات دينية وروحانية فقط^(٣).

وأما الدكتور نجيب ميخائيل فيذكر أن أخبار التوراة تروى لنا أن عزرا يسبق نحμία من الناحية التاريخية ولكن هناك أكثر من سبب يدفعنا إلى رفض ذلك:

فإن ما كتبه كل منهما على حدة يشير إلى أن عمل كل منهما مستقل عن الآخر وليس هناك ذكر لاسم واحد من عادوا مع عزرا^(٤) يشير إلى أنه عاون نحμία في بناء الأسوار^(٥).

هذا إلى أن عزرا يتنبأ بعمل نحμία فهو لا يذكر بناء المعبد وحده بل يشير كذلك إلى الأسوار^(٦).

يضاف إلى ذلك أننا نرى نحμία يحرم الزواج بالأجنبيات مستقبلاً ولا يفرض إلغاء الزيجات القائمة فعلاً^(٧)، بينما يطلب عزرا إلى اليهود تطليق

(١) ذكر فايغر منهم ياتين، وكسترزوفان هوناكير ودي ساولسي وأولبرايت ولودز وغيرهم (نقلاً عن عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم ص ١٦٣).

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٤٣٢ وطبعاً هم حددوا هذا التاريخ على أساس أن هذا الملك تولى (٤٠٤ ق. م) وعزرا راجع إلى أورشليم في السنة السابعة من حكمه.

(٣) نقلاً عن عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم ص ١٦٧

(٤) عزرا ٧: ٧.

(٥) نحμία: ٣.

(٦) عزرا ١٠: ٦.

(٧) نحμία ١٣: ٢٣ - ٢٨.

الأجنيات^(١) وهو أمر لا حق للأمر السابق حينرؤي أنه غير كفيـل بمعالجة الأمر^(٢).

ولعل ما شجع القائلين بعودة عزرا بعد نحميا إلى مخالفة السابقين هو أن كلا من سفري عزرا ونحميا (وهما المصدران الرئيسيان لأحداث عزرا ونحميا) تنقصهما الدقة، ويبدو فيهما التناقض فقد كانا في الأصل سفرأ واحداً، ثم تم انفصالهما، فأدى ذلك إلى تقديم وتأخير في الأحداث، فهما يحتاجان إلى إعادة ترتيب لإصحاحاتها^(٣).

بالإضافة إلى أن الفترة الفارسية عموماً يسودها الغموض من الناحية التاريخية وإن كانت أحداث نحميا تعتبر أوضح من أحداث عزرا إلى حد ما.

يقول المسلي: لقد كان من حظنا أن احتفظ بالكاتب في ثنايا روايته المشوشة عن هذه الفترة بمذكرات دقيقة مفصلة كتبها نحميا نفسه وهي تمدنا بقصة من هذه القصص الشخصية النابضة بالحياة، والتي تلقي أضواء بين الحين والحين فتثير ظلمة العصور الغابرة، وبعد أن يلخص حياة نحميا ويبين وضوحها تاريخياً يعود فيقول:

"ويقرن كاتب الأخبار جهود عزرا - وهو كاتب من بابل - بالجيل الذي عاش فيه نحميا ولكن لما كانت روايته عن عزرا لا يمكن الاعتماد عليها بحال، فقد حمل هذا البعض على الزعم بأن عزرا ليس إلا شخصية وهمية لقديس اتخذته طوائف الكتبة والكهنة حامياً لهم.

(١) عزرا ١٠ : ٣ - ١٧ وستحدث عن زواج اليهود بالأجنيات ودوره في تأثر اليهودية بالوثنيات في الفصل الخاص بخضوع اليهود للشعوب الوثنية وسرعة الإمتزاج بهم من الباب الثاني.

(٢) مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الثالث سوربة ص ٤٣١، (ويضيف الدكتور ميخائيل إلى ذلك أيضاً أن بردية "الفنتين" الآرامية والتي أشرت إليها في بداية هذا الفصل تشير إلى أن كبير كهنة يدعي يوحانان كان معاصراً لعزرا (٤٠٨ ق. م) عزرا ٩ : ٩ ويوحانان هذا هو حفيد الياشيب المعاصر لنحميا الذي كان يرتبط به طويلا العموني برابطه النسب (المصدر السابق).

(٣) سيتضح ذلك بشكل أكثر عند الحديث عن مدى المصادقية التاريخية لأسفار العهد القديم ومدى وجود التناقض في سردها للأحداث.

ولكنه لا يوافق على ذلك ويرى أن من الجائز أن نتصور أن الجهود الجبارة التي بذلها نحميا قد استنهضت همم يهود بابل، وأنه بعد قيام نحميا بإصلاحاته (لا قبله) عاد فريق من المسيبين يتزعمهم عزرا إلى أورشليم وهم مشوقون لإكمال عمل نحميا من ناحيته الدينية ولإقناع أهل صهيون بالملائمة بين ما يمارسون من ناموس وبين الشرائع الكاملة التي جمعت مفصلة في بابل^(١).

فمهمة عزرا إذن كانت مختلفة عن مهمة نحميا وإن كانت كل منهما تكمل الأخرى يقول جيمس باركس:

في عام ٥١٥ ق. م جدد الهيكل وأعيد افتتاحه ولكن يبدو أن الكهنة والعشب قد انغمسوا سريعاً في عاداتهم القديمة حتى كان القرن الخامس ق. م حين عاد الرجال نحميا وعزرا واللذان كان عملهما متميزاً، وإن كنا لا نعرف من الذي رجع أولاً، بيد أنه من المرجح أن يكون نحميا.

لقد كان نحميا موظفاً في البلاط الفارسي، فجدد أسوار أورشليم ومبانيها، ثم تبعه عزرا الذي تركزت مهمته في تحقيق أهداف محددة^(٢).

وبعد، فهذه هي الأفكار المختلفة والمتنوعة حول أحداث نحميا وعزرا وهي تدور حول تنازع اتجاهين في تاريخ مهمة كل منهما، وأيهما سبق الآخر في الرجوع إلى أورشليم عام ٤٥٨ ق. م وحاول مباشرة مهمته التي ذهب من أجلها، ولكنه فشل فرجع إلى بابل، وأثناء وجوده بها وجد نحميا أنه لا بد من إعادة بناء أسوار أورشليم والقيام بالإعداد السياسي والتمهيد الإداري لعزرا حتى يؤدي مهمته الدينية والكهنوتية في جو ملائم، وبذلك يكون عزرا قد باشر مهمته الدينية بعد وصول

(١) سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص ٦٤٥ - ٦٤٦.

(٢) جيمس باركس: تاريخ الشعب اليهودي ص ١٣ - ١٥ نقلاً عن أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ١١٥ - ١١٦، ويلخص تلك الأهداف في أنه كان يريد أن يطهر الشعب من خطاياهم التي كانت سبباً في عقابه وسببه، وتطهير الهيكل وطقوس العبادة مما علق بها، إذ كانت إباحة الزواج بالوثنيات تعني السماح بالدعارة بين كلا الجنسين ووأد البنين وممارسة كل طقوس الإخصاب التي تخصصت فيها الشعوب المجاورة.

نحميا قبله إلى أورشليم، لكن ليس بين يدي ما يؤيد هذا الاحتمال لذا فإنني أرجح الاتجاه الثاني الذي يجمع أصحابه على رجوع عزرا بعد نحميا وخاصة الفريق الذي يجعل وصول نحميا عام ٤٤٥ ق. م ووصول عزرا عام ٣٩٧ ق. م.

وعلى أي حال فإن اليهود الذين سبوا في العصر البابلي سواء منهم من عاد إلى أورشليم أو من بقي في بابل، ظلوا خاضعين للسيادة الفارسية منذ عام ٥٣٩ ق. م حتى غزو الاسكندر عام ٣٣٢ ق. م^(١).

وإن كان العائدون إلى أورشليم قد تمتعوا بالحكم الذاتي في عهدي: زربابل ونحميا: ولكن اللغة العبرية في عهديهما لم تعد تستعمل كلغة دارجة وذلك ليس في بلاد سبيهم فحسب وإنما في بلاد يهوذا أيضاً وقد حلت محلها اللغة الآرامية، وظلت العبرية تستخدم كلغة دينية، واستعمل اليهود الآرامية في مراسلاتهم الرسمية^(٢).

ولم يعرف على وجه اليقين متى انتهت فترة حكم نحميا، وإن كان شاهين مكاربوس يرى أنه ظل والياً حتى عام ٤٢٠ ق. م^(٣).

ولا يعرف أيضاً نظام الحكم الذي ساد عقب انتهاء حكم نحميا وحتى غزو الإسكندر (٤٢٠ - ٣٢٢ ق. م) وإن كان من المرجح أن طبقة من الكهنة قد باشرت الحكم الديني من قبل الفرس، وعلى سبيل المثال فقد أرسل الفرس عزرا كاهناً دينياً وليس حاكماً عسكرياً.

هذا وتعتبر فترة الحكم الفارسي من أهم الفترات في تاريخ اليهود القديم ففيها تم كتابة كثير من الأسفار وتجميعها، وفيها أيضاً تم إعلان الشريعة التي ألفها أو أعاد ترتيبها عزرا.

بالإضافة إلى ما حدث أثناءها من اتصال واختلاط بين اليهود والفرس فتأثروا بهم في كثير من العادات واقتبسوا منهم كثيراً من الأفكار والمعتقدات.

(١) راجع دي بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ١٠٥.

(٢) نحميا ١٣: ٢٤ / عزرا ٤: ٧، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢٤٥.

(٣) تاريخ الإسرائيليين ص ٣٢، ويرى زكي شنودة أن نحميا مات في عام ٤١٥ ق. م - اليهود ص ١٤٨.